الجنان

الجزء الثامن عشر
في ١٥ ايلول سنة ١٨٧٤

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

المال الملك من اعظم الاركان وعلى الخصوص في هذا الزمان بعد الاختراعات الكثيرة التي لاسبيل الى الفوز الا بها ولا تفوز الدول بالحصول عليها الا ببذل ملايين تجر وراءها ملايين اخرى ولذلك قد امست خزائن دول العالم حاملة اثقالاً مالية قد طالما سمعناها ثمن من ثقلها ولم تكن خزينة دولتنا العلية في يسر وخزائن دول العالم في عسر اذ ان اسباب المصروف كانت فيها كما في سائر الدول اذا لم نقل اكثر منها فتراكمت الديون حتى اشغلت وكلاء دولتنا العظام عن اتمام اهم الاصلاحات واتمامها ومع ان تحليصها من تلك الحال كان لها كالماء للذي يكاد يهلك من الظمأ لم تر سبيلاً الماضي البعيد ولا القريب اجراآت من شانها الاتيان بالفرج بعد اشد الضيق ولكننا كنا نرى قرضاً يقام فوق قرض وفائضاً يجتمع على فائض حتى امست اوراق المالية متضعضعة الاحوال فوقفت خسائر عظيمة على اصحابها وكاد القوم ينقطعون الامل من اصلاح الحال ويرون في كل اجراء مالي سبباً يبعد امل النهوض ويزيد اسباب الخسران وكان الباب العالي يعلم حقائق هذه الامور ويحاول التخلص منها غير ان اشتداد الاحتياجات الحالية كانت تسوقه الى تقرير امور موقتة يتبعها الفرج لهم على اثره ضيق اشد من الضيق الذي كان يسبقه فجعلت جرائد العالم تذكر موضوعاً للوهم وتندد بها فشمت العدو وحزن الصديق وعلى الخصوص بعد ان تعلنت الامال بقرب الاصلاح بواسطة اجراآت حضرة صاحب الدولة صادق باشا في اوربا ثم انقطعت حبالها بغتة ولى طال الزمان التابع لذلك وهو على ما كان عليه لكاتب العواتب مكدرة والحال موجبة لاشد الكدر والاسف غير ان حكمة حضرة صاحب الفخامة والدولة حسين عزتي باشا الصدر الاعظم افترعت بهمتها ونشاطها فشمر عن ساعد الجد والجد وجعل الاصلاحات المالية نصب اعين رايه واصبح فكر فخما بيد العزم الشديد والهمة العالية افكاراً كادت تطارح الدولة في ارتباك عظيم ومع ان ضيقات الحال كانت شديدة ثبت في دفاعها الى ان جمع بين تقرير وسائط استرداد الاستقبال وفرج الحاضر ولو تم ذلك قبل الوقوع في ما يكاد يكون واساً من هذا القبيل لما جعلنا له الاهمية التي من الواجب علينا ان نظهرها بعد ان رايناه قد برايا واصبحنا في ظروف تختلف من كل الوجوه عن الظروف التي كنا فيها منذ نحو شهرين ومن المعلوم ان الذين يلعنون الدرجات العليا من العظمة ويجدهم كسائر الناس يحبون نوال المكافاة ويسعون وراءها غير ان بلوغهم الغاية القصوى في ابواب

الارتقاء بحمايهم على طلب تلك المكافاة من الراي العام ولا سيما اذا كانوا كلحامة الصدر الاعظم المشار اليه فانهم يركنون حضرة صاحب الشوكة والاقتدار مولانا الاعظم وما من شيء احب الى الجرائد المزوقة عن التحزبات والاغراض من ترتين صفحاتها بنشر فضل الذين يتفلون الامم من حال الى حال بحكمتهم وحذقهم ونشاطهم وهمتهم واقدامهم وذلك مفروض على ذمة اهل الغيرة وبناء على ذلك قد جعلنا موضوع هذه الجملة السياسية احسن بشرى لها المحل الاول من الاهمية عند كل عقلاني بل عند كل انسان عمم لخيرنا وخير دولتنا العلية في زمان اصبحنا فيه في احتياج شديد الى ذات قادرة ان تدبر اعنة السياسة والمالية ادارة تحكي ادارة الفلاسفة الذين يجود الزمان بهم في ازمان الضيق ليخلصوا اوطانهم من ارتباكات دواهيها يصب ويلات النجاة منها اما ان تكون بلافاتها قبل فوات الفرصة واحياحها الى صدر اعظم قادر على تنفيذ تلك المرايا الخيرية الخلاصية في هذا العصر ليس هو بافل من احتياج روسيا في زمان مضى الى الامبراطور بطرس الكبير او احتياج الامبراطورية الرومانية الى اورليان فان الامم تبتدي في بعض ازمنة دورانها وانها بين الهبوط من مركزها او الثبوت فيه بالرجوع عن حافة السقوط غيرانها اذا لم تفز وهي على تلك الحال بادارة ازمتها بيد تعلم كيف ان تديرها بحذق وحكمة ونشاط وثبات عزم غير اعتيادية لا تقدران تدفع المخاطر وتسلك سبلاً تردي الى دار الراحة والامان وقد اجمع النوم في الاستانة العلية وفي الولايات بان اجراآت حضرة الصدر الاعظم المشار اليه في السياسة والمالية انما هي اجراآت تذهب بالامة العثمانية الى تقدم ونجاح وفوز عظيم لانه من الموكد ان الارتباكات المالية هي مانع اصلاحات الزراعة والصناعة والتجارة فانها قد استغرقت اهتمامات الباب العالي وغلت ايادي الاصلاح وتركت ثروتها المعدنية مدفونة اما الان بعد ان جادت حكمة ذلك الصدر الاعظم علينا بتدبير احوال مهلتنا بانشاء بنك اهلي عام وعقد قرض موافق فاصبحنا ننتظر تغيير الاحوال وليدهو من الاقتدار ما يتكفل بذلك في نفس الاستانة وفي الولايات فلا نعجب اذا مضى زمان ليس بقصير قبل ان نرى النتائج التي قد اشرنا اليها ولكننا نعجب اذا رايناها بعد مدة قصيرة لان رد الفعل في نواميس الطبيعة لا يكون الا بعد ان يتم الفعل ولو اخذنا في ذكر الاصلاحات التي يلزم ان يصير الشروع فيها الصاق بنا المقام ولو اقرغناها لذلك على ان اهمها اصلاح اسباب انصاف الظالم من المظلوم بوضع نظام لمجالس اوضح من النظام الحالي واكثر تفصيلاً منه وطبعه في نفس الاستانة العلية المراكز الرئيسية واصلاح الضابطة وتقرير وسائط لصيانة الفلاح من كل اسباب التعدي على محصولاته وتقرير الامنية التملكية بحيث يبادر اصحاب الاموال الى انشاء الاراضي وايداد الفلاح بالمال وحملوه على ترك عاداته الناشئة عن الكسل والجهل وليس المقصود ان هذه الامور هي بدون رابط نظامي عادل في الحال ولكنه انما في احتياج شديد الى الانتفاع بحكمة حضرة صدر الوزراء الافخم بعد ان اصبح مرتاح البال من المالية اما اخراج الثروة المعدنية وازدياد ثروة الاهالي بالمواصلات فهو من اهم اسباب العمران فاذا فازت الامة العثمانية بسياسة محنكة خمس سنوات وتمتعة الله توفيقاً في تلك الامور كالتوفيق الذي منحها اياهُ بواسطتهِ في المالية تصبح في عصر جديد وتبدل فقرها بالثروة ولا سيما اذا بدلت صفات كثيرين منا بانتشار المعارف الصحيحة المقوية للاتحاد والمهذبة للفضائل الوطنية والمقربة للمسوس من السائس بواسطة اتفاق الصوالح والرفع في مجموعة

التقدم والنجاح وغرس القواعد الصحيحة السياسية والادبية في عقول الاهالي بحيث يعلمون اننا امم كثيرة في الشرق مختلفة اللغات والاديان والمشارب وان المحافظة على مركز بجمينا مما يلحق بالدول الصغيرة الشرقية من مطامع بعض الاجانب انما يكون باتحادنا جميعًا امة واحدة عثمانية فان دولتنا العلية هي وحدها قادرة على جمعنا تحت راية واحدة فنصبح اصحاب شان بين دول العالم وتتقرر لنا حقوق مساوية لحقوقها عندنا فيتقرر في التواريخ بعد ذلك ان الذي بدل تلك الاحوال بهذه الحال بتنفيذ النوايا الشاهانية الخيرية انما هو حضرة حسين عوني باشا الافخم

فرنسا

قالت جريدة لابتري الفرنساوية اننا مسرورون جدًا بسياحة المرشال مكماهون رئيس الجمهورية الفرنساوية في الولايات فانها جارية في ظروف موافقة جدًا . وعندنا ان فرنسا وحكومتها الاجرائية ستحصل على نتائج حسنة جدًا بواسطة السياحة المذكورة . وستكون وسيلة لحصول مجلس النواب على افادات مفيدة ثمينة . وعندنا ان المرشال قد اصاب جدًا باخذه وزير الخارجية ووزير التجارة والزراعة معه فان ذلك ياتي بمنافع كثيرة فانهم يتمكنون من الوقوف على حقيقة احتياجات فرنسا الزراعية والصناعية والتجارية . ولا يخفى انه منذ مدة طويلة لم يتعب رئيس الدولة نفسه في سياحاتها باطول الى خير البلاد . ومنذ نحو اربع سنوات لم يسافر في الولايات رجل سياسي مشهور بدون ان يخصص نفسه بتمريض القوم على التحزب لهيئة الحكومة التي هو متحزب لها . وفي دولة موسيو تيبرس التي لا يزال الجمهوريون يتاسفون على فقدانها كان موسيو كمبتا يسافر من مدينة الى مدينة ويخطب بعد الولائم خطبًا ما لها مدح جمهوريات فرنسا التي اقيمت سنة ١٧٩٢ و١٨٤٨ و١٨٧٠ حال كون موسيو تيبرس كان يشغل نفسه في امور عسكرية او في المحادثة مع العالم سان هيلار بخصوص منافع الجمهورية المحافظة على الحالة الجارية . وقد تغير كل ذلك وهذا من حسن الحظ فان المرشال لا يفرغ جهده في سبيل ترقية اسباب محاولات سياسية او مقاصد متعلقة بمجلس النواب فانه من الواجب عليه ان يقوم بما هو افضل ونحن نعلم انه سيقوم به

اراء فرنسا

من الامور التي تستحق التفات اهل المطالعات السياسية اختلاف اراء الفرنساويين حتى انه لا يقدر الانسان ان يرى جريدة من جرائدهم عاملة على تقرير الوقائع مع خلو الغرض بحيث لا تجتنب اظهار اغلاط حزب بتقرير حوادث اليوم حال كونها تعلم انها في الغد ربما كانت تلتزم ان تثني عليه لتاموبعمل يستحق المدح وقد قرانا جملاً كتبتها الجرائد الفرنساوية وهي متعلقة بوقوع الانتخاب لعضوية مجلس النواب على موسيو دولوني في ولاية كالفادو فنالت بهذا الخصوص جريدة لوبيه الامبراطورية ان فرحا خال من الهيجان اذ كنا قد عرفنا ان الفوز يكون لنا . اما اعداؤنا فيقولون احيانًا اننا لسنا بجمعتي واننا عالمون بمراكزنا السياسية . فانتخاب دولوني يزيل كل ما ربما كان لا يزال باقيًا من الريب بهذا الشان . ومن المعلوم انه في السنين الاربع الماضية قد اتحد كل الاحزاب اتحادًا قويًا لمضادة الامبراطورية . الرجال المجانين . ولم يرتضوا بان ينظروا الى الواقع وهو ان الامبراطورية ذات قاعدة وهذه القاعدة وحدها قادرة على تخليص فرنسا . وهي مركبة تركيبًا موافقًا لطبيعتنا من قواعد المحافظين والديمقراطيين وهي

ترضي كل الناس من جميع الرتب اذا كانوا فقراء او اغنياء

وقد قالت جريدة لوردر الامبراطورية ماياتي ان الانتخابات العمومية لم تظهر حقيقة ما انطوت عليه كما اظهرته نهار امس . فان كل حيل الملكيين الاصليين والملكيين الاورليانيين والجمهوريين قد ذهبت سدى مع ان اصحابها ثبتوا واي ثبات . فهل ارتضيتم بذلك يا ايها المحافظون على الحالة الجارية ويا ايها الراديكال . انكم قد طعنتم كل الطعن بالامبراطورية وهذا هو الجواب الذي نعطيكم اياهُ

وقد قالت جريدة المونيد الملكية الفرنساوية ماياتي بهذا الخصوص وهو اننا جميعنا نعلم ما يقال توضيحاً لوقوع ذلك الانتخاب على نائب امبراطوري وهو الصيت الحسن الذي خلفهُ موسيو دولوني المنتخب في الولاية بواسطة سياستهِ الطويلة المبنية على الحكمة . وعلاوة على ذلك هو من المعروفين فيها كلها مع ان الذين كانوا يناظرونهُ في طلب الانتخاب ليسوا بمتمتعين بالشهرة التي يتمتع هو بها . غير ان هذه الاسباب ليست بكافية لتوضيح قرار ١٦ اب اذ انهُ لا بد من ان يكون لها اسباب اخرى غير ظاهرة واعم وهي ميل البلاد الى الملكية وشدة رغبتها في الحصول على حكومة قادرة على تثبيت اركان الراحة والامنية او قادرة على ان تريح افكارها بصفاتها ونظامها وهيئتها وقواعدها . والذين يرفضون ذلك يغلطون وهم يحاولون خدع الامة بواسطة تحويل افكارها عن احتياجاتها الصحيحة . ولذلك نقول ان الملكية وحدها قادرة على مضادة الامبراطورية ولو كانت الظواهر وخسارة الانتخابات تبرهن غير ما قد قررنا . فان الملكية الصحيحة قادرة على مضادة الملكية الكاذبة (اي الامبراطورية) . ونهاية وصف الحالة الجارية ان نقول ان الجمهورية قريبة من الزوال . على اننا لا بد من ان نبحث في هل يقدر المتحزبون للملكية ان يضعوها في مركزها

وقد قالت جريدة لازوبيليك فرانسز الجمهورية الفرنساوية ماياتي بهذا الشان ان نتيجة ذلك الانتخاب تكدرنا ولكنها لا تحل الخوف في قلوبنا . لاننا نعلم اسبابها فلا نعظم اهميتها . فاننا لا نضطرب اذ نرى ان ذلك الحزب الامبراطوري القليل لا يزال قادراً على ان يتحرك حال كونهِ يتعجب اذ يرى اقتدارهُ على ذلك . اما الامبراطورية فقد ماتت كل الموت وليست قريبة من النهوض وتاريخها يجعلنا منها . فان ثالثة ارباع فرنسا يعلم ان اختلاس حقوق فرنسا سنة ١٨٥٢ (اي بقيام الامبراطورية الثالثة) اثر كل التاثير في ناموسها وان اقامة امبراطورية اخرى يطرحها في ويل وان امبراطورية سنة ١٨٥٢ اساقت فرنسا بعد ١٩ سنة الى الكسر والخراب والانقسام فامبراطورية اخرى جديدة تسوقها في مدة اقصر من تلك المدة الى ويلات ليست الويلات التي وقعت فيها الا كالظل بالنسبة الى الحقيقة . فان رجعت الامبراطورية يتم خراب فرنسا والامة تعلم ذلك . انتهت

هذا ولا يخفى المطالع ان كل الجرائد المذكورة هي فرنساوية ومشهورة وكل منها كتب ضد ما كتبهُ الجرائد الاخرى . وهذا الخلاف هو افة الفرنساويين في هذا الزمان فترى كل حزب يقول ان خلاص البلاد انما يكون بالحكومة التي يتحزب لها وبالقواعد التي هي لهُ وانهُ بدون ذلك تساق الامة الى الخراب ويحل بها الويل والهوان والصحيح ان كل حكومة من الحكومات الملكية والامبراطورية والجمهورية قد جلبت وبالآ وتاخراً على فرنسا في نوبتها . ومن الواجب ان لا تناخر احداها الاخرى بشيء مطلقاً وان تصبر مراعاة ميل الامة الفرنساوية عموماً في هذا الزمان وبدون ذلك لا يستقيم لهم امر ولا تستفيد لهم حال

فرنسا وخدمة الدين

ان جريدة البرس فد وبخت استف كومبار توبيخًا لطيفًا اذ انه اثنى على المرشال مكماهون رئيس الجمهورية الفرنساوية عندما خاطبها اذ انه منحرب لحضرة البابا ولصوالح الدين المقدسة . وقد قالت انه مقرر عندها انه من الواجب ان يكون ذلك الاستف قد قدم تحزب المرشال لفرنسا على تحزبه لحضرة البابا. وقد قالت تلك الجريدة المجتهدة في التقرير الرسمي الذي كتب باعتناء تام قد ظهر ان المرشال مكماهون قد قبل ما نسبه اليه ذلك الاستف . وقد قال هذا الاستف ان فوز فرنسا والكنيسة ومصالحها هما واحدة فقالت جريدة البرس بهذا الشان ان المظنون عندها ان كدر خدمة الدين في فرنسا من جرى مصالب البلاد والكنيسة من الامور الطبيعية غير انها لم تقبل بان تسلم بان فوز فرنسا يعد فوزًا للكنيسة . فان النصر لا يكون على الدوام من جهة الحقائق الدينية والفرنساويون لا يقدرون ان يعدوا انفسهم كانصاليين . فان سيف المرشال هو لفرنسا وحدها ومصالحها تكفي عنايته . وان الاساقفة الفرنساويين لا ينسون وطنهم ابدًا غير انهم في بعض الاحيان يفضلون حضرة البابا . مع انه من واجبات كل انسان ان يفضل صوالح بلاده على كل شيء

مصر

من مكاتبنا فيها

من المعلوم عندكم ان حضرة صاحبة العصمة والدولة والدة ياشا ام الحضرة الخديوية السنية كانت مسافرة في الممالك المحروسة الشاهانية لتبديل الهواء وقد صرفت الصيف في اماكن مختلفة فجولت وتعالى قد فاز الفقراء والمساكين الذين طالما فرجت ضيقتهم بان يروها ممتعة بالصحة الجيدة وبالسرور . وعندما شرفت هذه المحروسة اطاعت المدافع تبشيرًا لذلك واكرامًا لحضرتها السنية اصطفت الجنود المظفرة وخرجت رجال الحكومة العظام واستقبلتها الحضرة الخديوية الاسماعيلية السنية بفرح وسرور . ثم انتظمت بموكب حافل من المكان الذي حلت فيه الى القصر الجديد المبني لها في العباسية . وسارت مركبتها في وسط صفوف الجنود ورجال الدولة والضباط بملابسهم الرسمية البهية ومركبات الحواتين المختارمات تسير وراء مركبتها . وعند وصولها الى ذلك القصر اطلقت المدافع دفعة ثانية وذبحت الذبائح ونثرت الاموال تحت اقدامها للفقراء اهل الدائرة والموسيقى تصدح باطرب الالحان وهكذا مضى النهار وهجمت جيوش الظلام لتصد بثلث الوف من الانوار التي صارايقادها اكرامًا لها فكانت مصر كلها جنة مخزوفة بالكواكب الثواقب والشهب المتلالعة في فلكها الصافي وزمانها الباقي من المجد اعلاهُ ومن انجاح اسماءُ بواسطة تلك الايدي البيضاء الحديوية التي قد انت عطية النيل بعصر جديد وضمت اليها من البلدان ما يجعل عظمتها تتارن عظمة قدم الزمان وكبائرى الترينات الدارية في الفلك الوانًا الوانًا منهضا كالعقبق وبعضها كالزبرجد فتحولت النيران الى جنود فلكية مشغلة بالقتال والى قصور فاخرة وغير ذلك مما يقصر اللسان عن التمام بحق وصفهِ . وقد سر الاهالي برجوعها محفوفة بجنود السلامة والراحة والصحة والعز والاقبال فاقاموا تريبنات فاخرة من تلقاء انفسهم اظهارًا للرحيم وسرورهم . واقيمت اعظم زينة في القصر العالي وهو قصر حضرتها العلية وكانت الموسيقات فيهِ ما يدهش ويوعب قلب السامع فرحًا وطربًا وكذلك عبدينه بالانوار البهية . وكذلك الزينة التي اقامها حضرة صاحب الدولة منصور باشا الانخم صهر الحضرة الخديوية السنية واشعلت فيها عشرات الوف من المصابيح الزاهرة

والانوار الباهرة وكذلك برينة حضرة صاحب الدولة ابرهيم باشا . وزينة حضرة صاحب الدولة اسمعيل باشا صديقي وحضرة صاحب الدولة شاهين باشا الارنؤد وغيرهما . وافيهت هذه التزيينات ٢ ليال متوالية فليمت مصر حلى السرور والابتهاج داعية لحضرة خديويها المعظم وعائلته الكريمة بدوام التوفيق والسعد وطول الحيوة

المانيا وخدمة الدين

قالت جريدة التيمس ان النزاع الجاري بين الحكومة وخدمة الدين في المانيا هو اهم الحوادث التي تشغل افكار الامة في المانيا . وقد قالت جريدة البرونفسيال كورسبوند نس الالمانية النصف الرسمية المطبوعة في برلين ان الاحتفالات الدينية التي تقام خارج الكنائس والزيارات التي تتم عند الذهاب الى الاماكن المقدسة عند القوم ستبيح موضوعاً للاحظات مدققة من طرف حكومة المانيا . اذ انه قد صار الشكي بما يدعى تجاوز حدود الاعتدال في هذه الامور واسباب الشكي ان ذلك يعوق جري الاشغال في الاسواق ويلحق الاهانة ببعض الذين ليسوا من الكنيسة الكاثوليكية وقد تقرر في قانون سنة ١٨٥٠ انه لا لزوم للحصول على اذن من الضابطة عند اقامة تلك الاحتفالات خارج الكنائس وغيرها غير ان السماح بذلك لم يكن الا للاحتفالات الاعتيادية التي لا توقع الراحة العمومية في خطر . اما في الاحتفالات الاخرى فلابد من الحصول على اذن الضابطة قبل القيام بها . ولا يصدر الاذن الا اذا لم يكن خطر من تكدير الراحة . وقد امرت حكومة برلين بانه عندما ترفع الرايات وغيرها في هذه الاحتفالات يجب للضابطة ان تطلب ازالتها اذا لم تكن موافقة لشعائر حب الوطن او اذا اهاجت الخواطر او كدرت الراحة العمومية . هذا وقد حدثت حركة جديدة لمضادة خدمة الدين الكاثوليك في ولاية بوزن البروسيانية والذين يقومون بهام الرتبة الاخيرة من خدمة الدين الكاثوليك انقسم وقد قبل انها اخذة في الامتداد وقد اتت البعض بالسرور والبعض بالخوف . والمقصود من اجرآتها ايجاد واسطة للاتفاق مع حكومة بروسيا ومجانبة الاختلافات الدائمة في مدة بجهن رئيس اساقفة بوزن ولا نقدر ان نعلم الان هل في هذه الحركة قوة كافية لتعبر حدود ولاية بوزن وتدخل ولايات اخرى بروسيانية . وفي اثناء هذه الحوادث قد اشتد النزاع بين الحكومة وخدمة الدين غير انه اشد في بروسيا مما هو في سائر بلدان المانيا وقد قالت حكومة النمس دار مستشار انه اذا تعلق الانسان بجمعية الاتحاد الكاثوليكي العامة في مانيس يحرم حق الانتظام في خدمة الحكومة وان الملتزمين الذين ينتظمون في سلكها يتعدون على حقوق النظام و يناقضون . وسيبقد هذا الامر في معلمي المدارس العمومية

تخفيف ويلات الحروب

قالت جريدة التيمس ان اعمال الجمعية الدولية المعقودة في بروسل عاصمة البلجيك لتخفيف ويلات الحرب قد قاربت النهاية والمنتظر مبادرة البارون جومبني النائب الاول الروسي الى تقديم تقرير الى سائر الاعضاء يتضمن التقريرات التي قد قرروها وذهاب الاعضاء الى التوصل بدل على ابتداء نهاية اعمال الجمعية المذكورة . ولا بد من صرف يومين او ثلثة ايام في المفاوضة بخصوص التقرير المذكور وسيتضمن ملخص اعمال الجمعية وبعد ذلك ستنتهي تلك الاعمال كلها . ولا نصيب اذا انتظرنا نتيجة مهمة . ولا سيما بعد ان كدنا ننا كد انه لا اهمية لها . فان النائب

الانكليزي كان يحضر الاجتماعات حال كونه مقيدًا باوامر دولته التي منعته عن القبول بتقرير شيء ذي اهمية ولو كانت قليلة. ولا يخفى انهُ صار اخراج امور كثيرة دولية من دائرة مفاوضات تلك الجمعية ولم يصر الاكتفاء بذلك فان العضو المذكور قيد بعدم تقرير شيء مما صار تعيينهُ للمفاوضة ما لم يحصل على التفويض اللازم من حكومتهِ بعد ان يكون قد قرر لها عنهُ. والظاهر ان نواب الدول الاخرى قيدوا بالاصول نفسها اما نواب هولاندا وبلجيكا والبورتغال وسويسرا وكل الدول التي هي مثلنا من جهة القيام بسياسة حرة سلمية من شانها حملها على تخصيص قوتها الحربية للدفاع فقد تمنعوا كل التمنع عن ان يقبلوا بشيء من شانهِ تضعيف قوة الامة عند وقوع الهجوم عليها وذلك بمنعها كلها عن النهوض لدفع المهاجم. ومن المعلوم انهُ بعد تقييد اعمال الجمعية ذلك التقييد لا بد من ان تنحصر اعمال اعضائها بامور غير مهمة ومن ان تكون نتائجها غير مهمة ايضًا. وتقريرات اعمالها تثبت ما قد قلناهُ. هذا وقد تمكنت جريدة موسيو كامبتا من ان تنشر اعمال الجمعية اليومية وقد قالت جريدة النور الرسمية ان ما نشرتهُ جريدة الموسيو المذكور هو مطابق للواقع. وقد عجبنا اذ رأينا ان جريدة ذلك الشاب المطلق التصرف الجمهوري قد تمكنت من ان تحصل قبل غيرها على صورة من اعمال جمعية دولية صار اجتماعها بطلب امبراطور روسيا وهي تحت رياسة نائب من رجال دولة ذلك الامبراطور. ومع ذلك نقول انهُ قد اكتفينا بما قد عرفناهُ عن صحة منشوراتها وهي التي قد بعثتها الينا مكاتبنا المقيم في باريز. اما الصعوبة العظيمة التي قد صادفها البارون جوميني النائب الاول الروسي فهي اقناع سائر اعضاء تلك الجمعية بانهُ لم يكن لامبراطور روسيا مقاصد باطنية في عقد تلك الجمعية وطلب تضعيف قوة دولة من الدول في الدفاع عن نفسها عند هجوم دولة اخرى عليها. ومن المعلوم ان ذلك النائب الروسي لم يقدر ان يتغلب على تلك الصعوبة. اما مقاصد الامبراطور الروسي فاظاهر انها جيدة وسلمية. غير ان اراءهُ بهذا الشان لا تخلو من الابهام حتى ان نائبهُ لم يستسهل تحديدها وربما كنا نقدر ان نفهمها اذا بحثنا في الفرق بين المقصود من الدفاع عن الذمار والدفاع عنهُ بالفعل. اذ انهُ من المعلوم انهُ عندما يقع الانسان في الخطر بغتة كاحتراق بيتهِ ووقوعهِ في خطر الهلاك غرقًا يقوم باعمال كثيرة لا تدفع عنهُ الخطر اذا لم نقل انها توخرهُ عن اجراء ما يرغب في اجرائهِ. وكذلك الامم التي يهجم عليها بغتة فتنسى في خطر فانها تبادر الى اجراء امور ربما كانت لا تسعفها في صيانة نفسها وذلك نتيجة اجراء الامور بالسرعة وبدون تبصر كافٍ. ولذلك نقول انهُ عندما قال البارون جوميني ان مولاهُ امبراطور روسيا لم يكن قاصدًا ان يقع الامم في ارتباك من جهة دفاعها عن نفسها اراد ان يقول انهُ لا يطلب تقرير ما من شانهِ سلب قوتها الدفاعية الفعلية ولو تضمن طلبهُ جعل الاجتهادات الغير المناسبة والغير النافعة اجتهادات باطلة لا يمكن القيام بها. فهذا هو المركز الاساسي الذي بنى النائب الروسي المذكور وهو رئيس الجمعية مطالبهُ عليهِ. وقد قال ان المداخلة في متعلقات دفاع الامم عن ذمارها انما هو انكار امجد اعمال روسيا. غير ان الحرب قد باتت متغيرة الاحوال. فانها كانت في الماضي موسسة على القوة والشجاعة الافرادية. اما الان فهي حركة الات قويمة يديرها الحذق والمعارف حتى ان الاجتهادات الافرادية امست كالعدم بالنظر اليها. وانهُ من الواجب بالنظر الى ذلك ان تنظم عناصر حب الوطن. فانهُ اذا ضادت الاجتهادات

الناتجة عن الغيرة حال كونها بدون ترتيب الجيوش المنظمة نظاماً متقناً قوياً يبيت الدفاع عن الذمار في خطر مبين ويضر بالهجوم عليهم اكثر مما يضر بالمهاجم فهذا هو اساس اجراآت امبراطور روسيا المتعلقة بالدفاع . وقد قال البارون جومبيني ان الذي جعل عند الجمعية للنظر في هذا الامر يخطر لحضرة الامبراطور في بال انما هو ما جرى في الحرب الاهلية التي انتشبت في الولايات المتحدة الاميركانية . ولم يظهر المقصود مما جرى في تلك الحرب وهو غير ظاهر . اما نائب البلجيك وهولاندا فلم يرتضيا بهذا التوضيح ولا عجب اذ نرى انهما ثابتان في اظهار عدم الارتضاء به الى النهاية . ومن المؤكد ان امبراطور روسيا اراد ان يقرر قوانين جديدة لدفاع الامم عن ذمارها . ومن شان ذلك تحديد اقتدار الحكومات على اتخاذ الوسائط التي تقدر الان على اتخاذها للدفاع عن نفسها . ومن المستصعب ان نبرهن ان وضع تلك القوانين المفيدة لا يجلب خطراً جديداً على اعمال الدفاع وهاك امر الحوادث المتعلقة بذلك وهي انه عند هجوم المهاجم على بلاد تشرع في استخدام الجنود الطوعية . ومن المقرر في الحروب الحالية ان اولئك الطوعيين هم جنود ومن واجبات العدو ان يعاملهم معاملة الجنود ولو صار جمعهم قبل وقوعهم في يده ببرهة قصيرة جداً هذا اذا ظهر بانهم قوة منظمة . واذا لم يعاملهم المهاجم معاملة جنود ولم يمنعهم بامتناع الجيوش المنظمة يومن الامتيازات يتعدى على قوانين الحروب الجارية . وعندما حاولت جنود المانيا في فرنسا ادعت المانيا بانه يحق لها ان تذبح الذين تاسرهم من الفران تيرور (المحاربين الغير المنظمين) اذ انهم ليسوا بجنود منظمين . ومن الامور الموافقة ان يصير تقرير هذا الامر تقريراً يمنع وقوع الخلاف بسببه . ولو طلب ذلك البارون تقرير نظام بسيط لتحديد حقوق الطوعيين لاستحق طلبه كل الالتفات والاعتناء . على ان اعتبار النوايا الحسنة لا يكفي لحمل الدول على القبول بمطالب غير محدودة ولا واضحة لان نتيجة ذلك المستقبلة ما لا يقبل التخمين هذا وربما كان يقال في سياق الكلام عن هذا الامر وعن امور اخرى مشابهة له انه لا سبيل الى مجانبة صعوبة تحقيق ما يكون لذلك من التاثير . وقد جرى في مفاوضات الجمعية ما يبين اخطار محاولة بدل تلك الصعوبة بتقرير قانون فان روسيا طلبت ان يصير تقرير القانون الاتي وهو انه عند حلول سلطان مهاجم فاتح في البلاد التي يفتحها يبطل سلطان الحكومة السابقة المحجوم عليها فيقوم سلطان المهاجم مقامها في كل مدة اقتداره على انفاذ سلطانه فيها . اما نائب المانيا فطلب ان يصير حذف القسم الاخير من هذا الطلب وهو في كل مدة اقتداره على انفاذ سلطانه فيها وقال انه ربما كان ذلك باتي باختلافات يصعب فضها . وان حلول المهاجم في ارض من اراضي المحجوم عليهم لا يظهر بعلامات خارجية ظاهرة وانه ينتج عن تلك العبارة التباس في متعلقات حلول المهاجم وقيامه بالحصر بحرًا . اما نواب سويسرا والسويد واسبانيا واسوج ونروج والجبكا وهولاندا فاقاموا الحجة على ترك تلك الجملة . فبات نائب المانيا وحده كما ان نائب انكلترا بات وحده محافظاً على الصمت . وفي النهاية صار قطع النظر عن تقرير ذلك الطلب ومن الامور المحجبة مبادرة روسيا الى طلب تقرير ذلك القانون . اما نتائج اعمال هذه الجمعية فتكون قليلة جداً . وبما ان نائب انكلترا لم يقرر شيئاً للزوم تاخير التقرير الى بعد مشورة حكومته وقد اخر نواب اخرون بعض الامور ربما كانت اعمال هذه الجمعية تذهب سدى . هذا ولا نجزم بانها لا تاتي بخير . اما عادات الحروب الجارية ومعاهداتها انما هي كقانون طبيعي محفوظ عند كل امم

اوربا. واصل اكثرها مراعاة حقوق الانسانية وعضدها الحالي مبادي النفع. ومن الموافق ان تجتمع نواب دول اوربا لتقرير ما يمكن يلزم من الزيادات والاصلاحات التي تعود بالخير على الجنس البشري

روسيا واسبانيا

قالت جريدة دوديبا الفرنساوية في جملة من قلم موسيو لومو ان المشهور بالكتابات السياسية اننا لا نعلم حقيقة مركز اعتراف دول اوربا بحكومة اسبانيا اعترافا رسميا وربما كان ذلك لا يتم قبل نهاية شهر ايلول القادم. غير انه اذا كان لا ريب في ان فرنسا وانكلترا قد اتفقتا على ذلك سنة ادرا بطاليا والنمسا بدون ريب الى اجابة طلب المانيا وهكذا لا يبقى خارج الدائرة الاعترافية غير دولة روسيا. هذا ولا يلزم ان نبالغ في اهمية ذلك. فان الاعتراف بالحكومة الاسبانيولية وهي على حالتها الحاضرة لا يعد تفضيل نظام حكومة على نظام اخر فانه الاعتراف بحكومة موقتة وليس اكثر من ذلك. وطالما بتنا نحن الفرنساويين في ظروف كظروف حكومة اسبانيا الحالية والذلك لا ينبغي ان ندقق البحث في هذا الامر. ولا يخفى انه قد قيل ان الحكومة الكائنة الان تحت رياسة المارشال سيرانو انما هي نتيجة استخدام القوة العصبية. وهذا يبين لنا ان حكومة ٤ كانون الاول لم تكن ذات اصل اقرب الى النظام من اصل حكومة سيرانو. ومن اعمال حكومة اسبانيا الاولية بعد قيامها ان تعلن بانها ملزومة بقطع الحرب الاهلية اكثر من التزام باسائر الامور وانه بعد ذلك تشاور الامة على الحكومة التي ترغب في ان تجعلها حكومة لها بالنظر الى نظامها. هذا والظاهر لنا ان المارشال مكماهون يقول في كل يوم انه مامور بالمحافظة على الراحة مدة ست سنوات ونصف سنة وانه بعد ذلك يسوغ للبلاد ان تجري ما يوافقها. فما هو يا ترى اعتراف اوربا في اسبانيا. اما هو الاعتراف بحكومة موقتة وليس باكثر. وهي الحكومة التي قبلتها البلاد التي كانت شارعة في انهاء دينها والقيام بواجباتها بحيث يتيسر قيام محاربات اصولية بينها وبين سائر الامم. ولو ارادت حكومة اوربا ان تعرف هيئة الحكومة قبل الاعتراف بها لامست في حيرة لان نفس حكومتنا لا تزال لا تعرف ماذا ينبغي ان تسمي نفسها. فان قبل ان قاعدة السياسة الاولى محصورة في مجلس النواب يقال ان هذا هو الصواب غير ان ذلك ليس هو سبب حصول فرنسا على اعتراف دول اوربا بحكومتها. اما اجتماع ذلك المجلس فهو نتيجة ضرورة عقد الصلح وتسليم ولايتين الى الاعداء. ودفع غرامة قدرها خمسة مليارات. وهذه الامور لا تتم بدون ضمانة امة كافة فانه عندما اسر الملك فرنسيس الاول في مدريد اطلق سبيله بامضاء معاهدة مالها تسليم ولايات كثيرة الى اسبانيا. غير ان ولايات فرنسا رفضت ان تنفذ معاهدة لم يكن يحق له ان يعقدها. وهذا برهان لزوم الحصول على رضى الامة للقيام باعمال كهذه الاعمال. اما ظروف اسبانيا فهي غير تلك الظروف لانها ما من مشاكل خارجية متعلقة بها. فاذا طلبنا الى اسبانيا ان تحصل على رضى الامة تطلب الينا القيام بما لا يتيسر القيام به الان فان ربع ارانصيها يبدان للحروب والباقي خاضع لحكومة عسكرية. فبناء الاحوال قد ملأت كل مكان فلا سبيل الى غير الاعمال الحربية. واذا وقفت حكومة فرنسا بالمناظرة عند الشواطئ والحدود تبقع اسبانيا اكثر تعنتها بالاعتراف الموقت بها. اما الذي كان يحملنا على ان ننظر على حكومتنا الفرنساوية بان تحسن معاملة اسبانيا فانها جارتها فهو خوفنا من ان يبيت التقدم في الامر لدولة

اخرى . وقد حدث ذلك . واذا قلنا ان اسبانيا مسئولة لان المانيا قد اهتمت باحوالها وسارت في سبل خدمتها تحكم حكم اولاد ونعدل عن سبل الحق . وكذلك اذا تمنعنا عن الاعتراف بها الان المانيا هي التي تطلب الينا ان نعترف بها . وقد خسرنا شكر امة من الواجب ان نكتسب على الدوام صداقتها وشكرها بواسطة محاولتنا وسوء سياستنا . وفي اثناء ذلك قد نجحت الثورة الكارلوسية نجاحاً ليس بقليل . ولا يزال مقرراً عندنا انها لا تقدر ان تمتد خارج الشمال غير انها اخذة في ان تثبت اقدامها هناك . وقد طالما سلمنا بان الكارلوسيين يقدرون ان يثبتوا هناك حتى انه ربما كان ثبوتهم يبقى سنين بحيث يتمكنون من ان يقيموا مملكة . غير انه لا بد من ان تكون تلك المملكة عرضة للخضوع على الدوام امام اجتهادات سائر الامة المتواصلة . فاتمام ذلك لا يكون الا بالوقت الكافي وبالمال . هذا وربما كانت روسيا تمتنع عن الاعتراف بحكومة اسبانيا الحالية لاسباب معلومة عندها . وهي لا تحب حكومات الثورات . غير انه لا ينبغي ان نعتبر تردد ها من علامات وقوع الخلاف بينها وبين المانيا . ومن الواجب ان نعلم انه لا بد من ان تبقى مدة ليست بقصيرة موضوعاً لعدم اركان اوربا الينا . لانه من المؤكد ان الملوك الذين اجتمعوا في السنة الماضية حال كونهم يكادون يكونون قابضين على زمام سلطان مطلق نافذ في جميع جنود اواسط اوربا لا يوقعون الشقاق بينهم قبل ان يعلموا نهاية اضطراباتنا . فمن واجباتنا التي تنظر الاركان الى انفسها دون غيرنا

اعلان الدون كارلوس

قد بعث الدون كارلوس بالاعلان الآتية ترجمته الى حكومات اوربا وهي

الى الدول المسيحية . بما انني ملك اسبانيا الحاكم في كل المملكة المتسعة قد بادرت الى مخاطبة الدول المسيحية التي لا تبقى قاطعة النظر عن حالة امة عظيمة لا بد من ان يكون نصبها في الاستقبال سطوة قوية نافذة في احوال العالم . ومن مرغوباتي ان اصبح معروفاً . وان احاكم بحسب اعمالي وليس بحسب التهمات المنشورة ضدي . وان يجعل العالم المسيحي حكمه المتعلق بي وبحكومة مدريد التي ليس لها اسم اذا شاء ان يحكم مبنياً على معرفته الحقيقية للبون العظيم الذي ينفصل الملك الثانوي عن تعديات بعض الذين يحاولون الفوز بالارتفاع بتقلبات الاحوال وهم الذين قد اصبحوا حاكمين بالسلطان المطلق . اما انا فقد اجبت دواعي واجباتي وحب الوطن بالاركان الى نتائج الحروب لترجيع تاج ملكي وذلك بعد ان افرغت كل الوسائط السلمية لصيانة وطني المحبوب من ويلات حوادث كويلات حوادث اسبانيا سنة ١٧٩٣ . وقد وفقني الله اذ قد فزت بالحصول على الانتخاب العام (بلبيسيت) الحقيقي فان الوفا من الاسبانيول يختمونه كل يوم باصفى دمائهم . ومن المعلوم عند اوربا انني قد جمعت جيشاً حال كوني كنت بدون جيش وبدون سلاح . اما مساعدتي فصدرت من نشاط امة عظيمة وتضحيتها الراحتها . وقد كسرت العدو ايضاً حاربني اما انا فلم اصادمه قط ولم انهزم غير مرة واحدة عندما كانت مدافع العدو عشر مرات اكثر من مدافعي وانظم كثيراً منها . اما النفقة المقصود عند بلباو فجرى بدون ان اخسر رجلاً واحداً ولا مدفعاً وقد اقيم بما يعوضه بواسطة انتصار ابارزوزا . اما طليعة جيشي فقد اصبحت عند ابواب مدريد وقد دنت الساعة التي امكن بها من ان اتم تشتيت شمل جيش الجمهورية الذي ذهب تعبة سدى في محاولة صد انتصاراتنا . اما ضعف اعدائي

فيظهر بسرقاتهم وارتكابهم القتل وحرق الاماكن فانهم يامرون بذلك جهارًا وقد اجروا اوامرهم . فبعد ان خربوا البلاد بمطامعهم الدنية فقد جلبوا العار عليها بارتكاباتهم ولا يزالون يخربونها بغير بريتهم الناتجة عن الجنون . وقد عرفت اسبانيا تصرفاتي المتعلقة بهم . فاستشهد ارلئك الذين امسوا في اسري قبل معركة ابارزوزا فالذين هم من الامة الاسبانيولية يشهدون بمعاملتي لهم فانني طالما عاملت بالعدل شجاعة نفس الذين كانوا يحاربونني حتى انني كنت اجلس عند موائد الطعام التي اتناول طعامي عنها ضباطًا ولو كانوا من رتبة اخيرة كضباط الفرق لتخفيف اثقال مركزهم وفي النهاية كنت اطلق سبيلهم او ارتضي بان ابدلهم بالاستناد الى وعد شفاهي بالحصول على جنود قدرهم من جنودي المأسورة . وقد قبلت باجراء ذلك مع ان حكومة مدريد طالما قصرت عن القيام بوعدها الذي كانت تبلغني اياهُ بواسطة قواد جيوش الجمهورية . هذا مع انهم كانوا يتفنون اسرى من اسرانا ويقبضون على رهائن من الاهالي المحافظين على السلام ويرسلونهم الى محلات ذات هواء مهلك . غير انني قد اصبحت غير قادر على احتمال تعدياتهم لانهم عطلوا مزروعاتنا وحرقوا قرانا وقتلوا جرحانا وارتكبوا كل التعديات القبيحة فاخضعت المذنبين منهم الى مفاعيل العدل . ومع انهُ كان يصدر الحكم بالقتل على جميع القتلة والذين كانوا يحرقون الاماكن لم اُجرِ الحكم الا على واحد من كل عشرة اشخاص من المحكوم عليهم . وكنت اقول انني لما كنت المحافظ على صوالح امتي وحيوة الاهالي كان لابد من ان ارغب في تخليصهم من الموت . واذ ضاقت بهم السبل الحسنة سلكوا السبل الدنية الناتجة عن الجبن فاخذوا في نشر الطعن والتهمات الكاذبة فاتهموني على مسمع من اوربا ومن العالم قاطبة بالقيام باعمال فاسية حال كونهم هم وحدهم يقومون بالاعمال المشابهة للاعمال التي قد اتهموني بالقيام بها . ولذلك لا بد لي من ان اقيم الحجة على هذه الاشاعات الكاذبة . فاذا كانت الحكومات والوزارات راغبة في الوقوف على الحقيقة من الواجب ان ترسل مامورين الى مراكز اجرا آتنا . وخربات ابارز وزاوسابلاس وفيلانورتا شواهد على صحة ما قد قررت . فينظرون تلك الخربات ويحكمون بما يتعلق بها ويقفون على حقيقة الانتظام الجاري في جيشي والحكومة الابوية التي قد اقمتها في الولايات والتنا الكثير الذي يصدر منها بداعي محسناتي ومحبة الاهالي لي حتى لو كانوا خاضعين لاثقال مظالم العدو فانها تثقل بدون شفقة على الناس والارزاق والعيال . هذا وقد ترددت عن القيام بالثار ولا ازال اتردد عن ذلك لانهُ يسوقني الى اجراء ماقد اجروهُ بعاملة الذين ليسوا بمتقلدين السلاح لمقاومتي . غير انني اذا التزمت ان اقوم بذلك ساحصل من عناصر العدل القوة اللازمة لمقاومة تحريضات قلبي المبنية على كرامة الاخلاق ولذلك لابد من ان تزداد الصرامة عندي اذ انني قد جعلت التساهل شاني زمانًا طويلاً . اما الافادات الصحيحة التي يقدر المامورون ان يجمعوها وهم في مراكز الاعمال فهي اكثر نفعًا من الاخبار الكاذبة التي ينشرها الذين جعلوا وبالهم سائدًا في اسبانيا حتى انهم انشاوا حصرًا للكذب في انفسهم . وسافرغ الجهد في تسهيل اسباب اعمال اولئك المامورين . وقد سيقوا بفحتهم الى ان اتهموني بقتل رجل غريب لمجرد كونهِ من كتاب الجرائد . فهذا كذب . فانهُ رجل المالي قُبِض عليهِ وفي يدهِ عدارة ذات طلقات كثيرة وهو في مقدمة قوم طالبين حرق البيوت وهم داخلون قرية فيلانورتا . ولم يقتل الا بعد ان صدر الحكم عليهِ بواسطة مجلس حربي . فالذي جرى

هو موافق للعدل . ولذلك اقول انهُ من الواجب ان يجري في ظروف كالظروف الحاضرة وسيعاد هذا العمل اذا التزمنا ان نحاكم رجلاً من الذين يقومون بحرق المنازل وباعمال الجواسيس . وعلاوة على ذلك نقول ان الاجنبي الذي يشترك في حرب اهلية يخرج نفسهُ من دائرة القوانين الدولية المتعلقة بالحرب ويعرض نفسهُ لاحتمال العواقب . اما انا فرغبت منذ الابتداء في مجانبة الارتباكات الدولية ولذلك اصدرت اوامري من ابتداء الحرب بان يصير الامتناع عن قبول الضباط الاجانب الكثيرين الذين طلبوا ان يخدموا في جيشي انتصاراً لحقي . هذا وقد اخبرت اسبانيا في اعلاني المحرر في اركان حرب معسكري في ٦ تموز الماضي عن اراءي المتعلقة بالحكومة والمالية والدين وبالسياسة الداخلية . فاثبت كل ذلك . فان رايتي راية انتظام فتصون تحت طياتها المنسعة كل تقدم نظامي وكل الاصلاحات الادبية والمادية فالذين قد اجتمعوا حولها قد فازوا بالتمتع بمنافعها التي ستمتد قريباً الى كل اسبانيا ومستعمراتها . اما حكومة الجمهورية فقد باتت ميتة وهي تنشر انكساراتها بيدها . فكل جرائدها واصدقائها في الخارج وفي الداخل يطلبون مداخلة اجنبية فان املهم متعلق بها دون غيرها فان املهم بالخلاص محصور بذلك وماذلك الا لانهُ ليس في اسبانيا قوة قادرة على صد جيوشي التي تتقدم كانها لسان حال ارادة الامة . ولا اظن ان حكومة من حكومات العالم ترتضي بان تجد عنصراً قد بات مضعضع الاحوال وهو يحارب للذين ارتكبوا اثاماً فيجة ولا ان تتحد مع سياسة اساسها الخيانة والنهب غايتها . ومع ذلك اذا جرت مداخلة سنصدها بثبات اذ ان اساس قوتنا ايماننا وحبنا لوطننا وذلك كما قاومنا في ابتداء الحرب جنود الجمهورية مع اننا كنا قليلين جداً وفي احتياج الى اكثر وسائط الحرب وبذكرى شهداء الاستقلال من الواجب ان نحارب طالبين النصر او ان نموت عن اخرنا صارخين فلتعش اسبانيا . على انهُ لا تجرى مداخلة . فان حاسياتي الصادرة عن حب السلام تقرر ذلك عندي فانني اركن كل الاركان الى عدم تغرض الدول المسيحية وقلبي يحدثني بان الله معنا . ومن مرغوباتي ان تكون لي صلات صداقة مع كل الامم وبما انني حامي اسبانيا ساجتهد في سبيل صيانة ناموسها وعظمتها التي ارغب في ترجيعها وفي اعظم تفاؤلات السلام التي باتت في احتياج اليهِ . تحريراً في اركان حرب المعسكر الملكي في لوكو يتبو في ٦ آب سنة ١٨٧٤

(الامضا) كارلوس

فرار المرشال بازين

قد نشر المارشال بازين صورة تحرير بعث بهِ الى وزير داخلية فرنسا في بعض الجرائد الفرنساوية وقد اعترضت الجريدة الرسمية عليهم اذ قالت انهُ لا يحق للجرائد ان تنشر كتابات رجل قد حكم عليهِ بخسارة حقوقهِ المدنية كما حكم على المارشال بازين وهذه ترجمة ذلك التحرير نقلاً عن جريدة التيمس من كولون في ١٧ آب سنة ١٨٧٤

ان الكولونل فيلات الذي كان معاون حرب عندي وهو الان صديقي لم يحمل مسئولية اذ انهُ لم يتداخل بامر فراري فانهُ كان يجهل تصميماتي وفارقني في الساعة التي كان يفارقني فيها وذلك في ٩ الجاري مساء وكذلك خادمي باريو وعمرهُ ١٨ سنة فانهُ قبلما كان يدخل مخدعي في المساء . فانا وامراتي وقريبها اتممنا بما مست اليهِ الحاجة لتمكني من ان انحدر ذلك الانحدار المخطر . ولم اتمكن من ذلك الا بعد ان جرحت جراحات كثيرة وهشمت جسدي وتمزقت ملابسي . اما الحاكم والذين هم تحت رياستهِ فلم

يتغافلوا عن القيام بحفاظتهم بالضبط. فانهم اقاموا بذلك بانتظام صارم ولذلك لا يجب ان تأتي مسئولية على احدهم. اما موسيو مارشي فكان في مركز صعب ومع ذلك لا بد لي من ان امدحه وأقوم معي الى الساعة العاشرة بعد الظهر. فلما انفصل عني ودعت الكولونل فيلات الذي كان قد عُين زمان ذهابه باكرًا في صباح يوم الاثنين الواقع في ١٠ الجاري قبل ذلك ببضعة ايام ثم حاولت ان ابدل الدخول الى محمدي بالتخفي بحيث لا يراني الحارس الذي يأتي في المساء ليقفل باب محمدي فتحيات واقفل الباب طالما انني قد دخلت للخدع. اما انا فتكدرت جدًا اذ رأيت انني اخضعت الى قانون ٢٦ ايارسنة ١٨٧٢ المخصوص للحالات المتوسطة (ميزون سانتال) فانني وجدت نفسي محرومًا من اسباب تمرين الجسد فانها حصرت في التمشي في مكان ضيق واستمر ذلك ثمانية اشهر وانا معرض النهار بطوله لحرارة الشمس المحرقة المجنونة. وكنت موبلاً بأن امسي تحت حراسة قائد القلعة العسكري. ولو لم امس خاضعًا للعاملة مهينة لاتاني بمن كان مثلي وهي اصعب عليَّ من الموت لتصرفت كما تصرفت قبلاً في سجن فرسايل وفي التربانون بالامتناع عن محاولة الفرار مراعيًا شان الوظيفة الحربية التي تقلدها بشرف ثامر نحو نصف قرن. وبالجملة اقول يا سيدي انني رأيت مسوغًا يسوغ لي التصرف بالنوع الذي تصرفت به سالفًا على ما هو مقرر في القانون من انهُ ما من حكم قانوني ما لم يكن صادرًا عن هم اعظم من المحكوم عليه. وكان يراعى هذا القانون في نفس القرون المتوسطة الخالية من الانتظام والمواثيق ظلمًا وتعديًا. اما في هذا الزمان فلم يُراعَ عند محاكمتي. انتهى

اما الجريدة النصف الرسمية المساة بالبرس فقد قالت انهُ لا ريب في اشتراك بعض مامورين المجون بفرار المارشال بازين وان الوسائط كانت الرشوة وانهُ سيحاكم المتهمون. اما جريدة لونيون روبليكان، دومدي فقد نشرت التفاصيل المتعلقة بفرار المارشال وهي ما يستحق التأمل فقالت انهُ خرج من باب القلعة الداخلي الساعة التاسعة بعد الظهر ومعهُ حارس كانهُ قاصد ان يتمشى اما الجندي الواقف للحراسة فلم ينتبه اليهِ ثم انحدروا وداروا في الطريق حتى وصلوا الى الباب الذي يودي الى حرش صغير وعند ذلك الباب حارس اخر فلم يمنعهما. ثم ساروا عن طريق الكراند جاردن وكان في نهايتها قارب منتظر وكان التركب الايطالياني الجاري في مكان يبعد عن الشاطئ نحو ٨٠٠ يردًا فاقلع وفي اليوم الثاني عند خروج الكولونيل فيلات في الصباح قال انهُ لا يقتضي ان تكدروا المارشال بايقاظهِ اذ انهُ كان قد صرف ليلة بدون نوم

الانكليز

ان وكيل الجنان والجنة والجحيم في مصر قد سافر في هذه السنة في بلاد الانكليز وقد كتب الينا بما يأتي من لوندرا

ان شان جرائد تانشر مافيهِ فوائد وبما انني قد رأيت ما يعود نشرهُ على ابناء بلادي بالفائدة قد بعثت اليكم بهذه الجملة لتنشروها في الجنان الزاهر وقد حررتها في المدينة الكبرى المسماة في هذا الزمان بام المعارف والعلوم ومركز العدل والانصاف والادب والفضائل والاحسانات والمشروعات المفيدة وهي لوندرا عاصمة المملكة الانكليزية التي تسوس امما ساكنة في ممالك منتشرة في كل الكرة الارضية وعددها يزيد عن المائتين وخمسين مليونًا من النسمات فهي عاصمة نحو ربع سكان العالم. وفيها بين الثلثمائة والاربعة ملايين من النسمات من جميع امم الارض واديانها.

وكل داخل اليها يلتزم ان يساق بقضيب العدل وان يسلك مسلك الامانة بالاعمال الظاهرة وان يجعل الرقة والتواضع ديدنه بدون ان يراعي غير خاطر العدل والحق فان المساواة سائدة على صغارهم وكبارهم وعلى فقرائهم واغنيائهم فانهم جميعهم يصرخون بصوت واحد قائلين ان مدينتنا ومملكتنا وملكتنا لكل منا فخورتنا واحدة وناموس امتنا واحد . ومما يدهش الغريب ويحيره الالفة السائدة والاتحاد الجاري وشتان بينهم وبيننا نحن الشرقيين الذين شان كل مناطلب التقدم لنفسه مع قطع النظر عن الصوالح العمومية التي تعود بالنفع على الافراد واهتمامنا بخير وطننا ودولتنا يكاد يكون اسماً بلا مسمى ومن ثمار ذلك الكبرياء والادعا فالعظيم عندنا يظن ان عظمته انما تقوم باحتقار الذين يحسبهم دونه في الرتبة او المنصب اما الجاري بهذا الشان في هذه الامة العظيمة فهو عكس الامور الجارية عندنا فان ديدنها التواضع ومواساة الناس واحترام اراثهم ومبادیهم فبذلك وبحسن السلوك وبالاستقامة وبالتصرفات الممدوحة قد ملكت ماقد ملكت من العالم وتركت ذكراً حسناً في كل مكان دخلته بمشروعاتها وتجارتها والشاهد عدكم حسن صيتها في الشرق . والذين يفوزون بالاجتماع بامرائها وباعيانها ان كانوا من اهل المناصب او من اصحاب الاشغال الخصوصية ووقفوا على حقيقية نواياهم ورقتهم وصحة مبادیهم يتاكدوا بانهم لم يبلغوا ما قد بلغوه بالتصادف بل بالوسائط الموصلة بالفعل الى تلك النتائج . ومن اعظم اسباب ظهور فضلهم وانتظام احوالهم مجلسهم العالي المسمى بالبارلمان وهو منقسم الى قسمين احدهما يسمى مجلس العموم واعضاؤه نحو ستمائة رجل وهم منتخبون من مقاطعات بلاد الانكليز ومدنها الكبيرة والمنصود ببلاد الانكليز انكلترا واسكوتلاندا وايرلاندا ومن الواجب ان يكونوا جميعاً من المذهب المعروف بالكنيسة الانكليزية العالية وهو من المذاهب البروتستانتية . والوزير الاول مجلس بينهم كواحد منهم ويتفاوض معهم بصوالح تلك المملكة العظيمة وبصوالح غيرها مع قطع النظر عن الصوالح الخصوصية والاغراض المضرة . وهذا هو مجلس الامة اي المجلس الذي ينوب عنها . اما الوزير الاول فلا يدرك منصبه العالي بشرف الاصل او بواسطة خاطرية ولكنه يدركه بمعارفه وقوة عقله وحذقه بحيث يقتدر ان يقرر لنفسه الاسبقية على الاخرين فامتيازاته في المعارف السياسية ترفعه بعد ان يكون قد جمع من المعارف في المدارس ما جمع . ومن الصفات التي يلزم ان تكون ملازمة له الاستقامة والامانة ورقة الاخلاق . واذا حاد عن سبل الصواب بعد ان يتقلد ذلك المنصب ينفصله عنه مجلس نواب الامة . فلا يقدر ان يجري قانوناً او يتعدى على قانون فان اعماله مقيدة بسلاسل ذلك المجلس العادل وهو مستول اليه . وتقرير النظامات والقوانين من متعلقات ذلك المجلس وبعد ان يقررها لا بد من ان تحال الى مجلس الامراء ومن متعلقاته البحث في امور الدولة دون الرعية فان قررها يرسلها الى حضرة الملكة لتقررها التقرير النهائي . واذا لم يرها مناسبة يرجعها الى مجلس العموم ليس على سبيل الجبر والالزام بل على سبيل المخابرة للتوصل الى ما فيه خير الجميع . ولا تصل الامور الى حضرة الملكة ما لم يقررها المجلسان المذكوران فتقررها بعد المخابرة مع الوزير الاول . ومن الامور الغريبة ان مهام هذه المملكة الواسعة جداً لا تتاخر من سنة الى سنة الا في النادر اذا كانت مشاكل عظيمة كالامور الكنائسية ومن واجبات الامة ان تخضع لهذه النظامات والقوانين لان نوابها هم الذين يقررونها باختيارهم وبالامانة اذ لا تدخل الرشوة الدنية ابوابها فهي متيقنة بانها

براعمان صوالحها وحقوقها الجزئية والكلية وهما اللذان قد اوصلاها الى ما قد وصلت اليه من العظمة والشان . ولا يتم الانتخاب للعضوية في مجلس النواب الا على الذين لهم املاك كافية للقيام باودهم لئلا يسوقهم الاحتياج الى ان يجنحوا عن السبل المستقيمة . ولا يخفى ان انتخابهم لا يتم الا باكثرية اراء المنتخبين في المدن الكبيرة او المقاطعات وهم من الذين لوطنهم المحل الاول عندهم فينتخبون الخصوصيات للقيام بحقوقه . ومع ان اراء بعضهم تختلف عن اراء البعض الاخر في امور سياسية وادارية قد اجمعوا على حب الوطن وتقرير ما فيه استقلاله والمصلحة العمومية فيلاحظون بعين الحذق في احوال المالك البعيدة التي القريبة ويديرون مهام بلادهم وشانهم جميعاً تحريض قومهم على العدل والاستقامة والالفة فاين شانا من شانهم ومصالحنا هي في المحل الاول فللحصول على نفع صغير خاص بنا ندوس صوالح كثيرة عمومية ونحيد عن سبيل العدل والاستقامة مع اننا نحن الذين حزنا قصبات السبق في ميادين الفضائل السياسية غير اننا قد خسرنا مراكزنا حتى ان الذين كانوا في اخر ما بالنسبة الينا باتوا يباهوروننا ويستخفون بنا وما ذلك الا نتيجة فقدان القواعد الصحيحة التي تسعد بها احوال الامم . ولا يجب اذا افرغنا جهدنا لتغيير النقائص التي قد اضعفت قوانا ولكننا نجب اذا رايتنا ما قد رايناهُ من احوال الغرب المستقيمة وحافظنا على اسباب ثبوتنا على ما نحن عليهِ . فنزيد خسراننا ونزيد عدم اركان الامم اننا ومن يانرى يرتضي باحتمال الخسارة والربح قريب اليهِ

كاتبهِ
معلم شكور

التحريض

(من قلم احمد افندي وهبي في حلب)

الحمد لله الذي شيد العلم ورفعه . واذل من غالبه ووضعه . وقيض لهُ في كل عصر من الاعصار حماةً وانصار . ذوي عزائم واخطار . وهم كبار يحمون حوزته . ويثبتون صولته . ويقيمون شوكته . ويقررون حجته . ويوضحون محجته . لا سيما في هذا العصر . الذي تجدد بهِ النصر . وحصل منهُ للجاهل النهر . فان العلم نعم السمير . والعقل بشير بالخير يشير . فمن يجتهد في تحصيل العلوم . تسموسعودهُ على مقام النجوم . ومن واظب على كثرة الطلب . فقد حاز الفضل والادب . ومن صادق العلماء زها بدره . ومن رافق السفهاء هبط قدره . فالعلم ثمرتهُ الانصاف . والتعمق يوتجيبهُ العفاف . والمتورع العاقل من احسن المواقف . والمال مع الجهل من اقبح المصائب . وقد دار المتاثل بهذا المعنى

العلم احسن معقل فاهرع الى
ابواب العليا تنل كل العلا
واعلم بان الجهل يرخص كثرة
والعلم ان كثرت حواصلهُ غلا

والعلم مونس العالم بوحدته . وصاحبهُ ورفيقهُ بغربته . وهو الدليل على السراء والمعين على الضراء . ومنتهي المودة بين الاخلاء . والسلاح على الند الاعداء . فمن قنع من الزمان بهذه المنحة . واراح نفسهُ من التعب في غيرها فالعمر وان طال فهو كلمحة . فمن صرف همتهُ لتكميل نفسهِ بانواع المعارف فهو العالم الفاضل . ومن جعل بغيتهُ استفادة عوائد العوارف فهو الاديب العاقل . خصوصاً اذا جعل ذلك من الدنيا اجل بغيته . وصرف بها اكثر همته . فان كمال النفس بتكميل العلوم المنوعة الاساليب . التي لا يقتنيها الا كل شهم واديب . ومن نقد الاشياء بعين الاستبصار وتاملها تامل ذي اعتبار . علم يقيناً ان الكفاف كاف . وما بعد الرمق من الدنيا هو واف . وقلما ياه قوي ادبر من دهرهِ بصفا . وعاملتهُ ايامهُ بصداقة ووفا .

حتى لقد ضرب المثل بعيش الاديب . بان زمانهُ زمنٌ عصيب . فاذا الدهر لم يفِ صاحب الفضيلة . وبهذا المعنى قد اعيتهُ الحيلة . فيتذكر ما قالهُ اهل الفضل . وما ورد عنهم في المثل

الدهر دهر الجاهلين ... وامر اهل العلم فاتر
لا سوق اكسد فيهِ من ... سوق المحابر والدفاتر

فالعقل يحتاج الى شيء من الادب . والعلم يحتاج الى كثرة الطلب . والادب كنز عند الحاجة وعون على المروءة الواقيه . والعلم صاحبٌ وانيس تعمر بهِ القلوب الواهيه . والفضل بالعقل والادب . لا بالاصل والحسب . والمرء بفضيلتهِ لا بفصيلتهِ وبكمالهِ لا بمالهِ . وبادابهِ لا بثيابهِ

وان العلم عليهِ مدار الحركات . وهو الواسطة الوحيدة للترقي الى اعلى الدرجات . فدع عنك ايها الجاهل المغرور . فما انت في جهلك معذور . فالى متى انت غرقان في لجة الخمول . وسكران بخمرة الجهل والكسل . الم تدر ان الفرق ما بين العلماء والجهلاء . مثلما بين الارض والسماء . وما من احدٍ يحتلي بالفضل الا بالعلم وتنوير العقل . ومن حاز هذه الفضيلة . وتخلق بالاخلاق الجميلة تسافرافكارهُ ومعانيهِ من مدينة القلب الانساني . الى الاقليم اللساني . فتلبس هناك ملابس الحروف . وتتوجه تلقاء مداين الاعلام من الطريق المعروف . وتسير على التموجات الهوائية بافواه المتكلمين . وتهوي اسرعَ من الى امصار صاح السامعين . وتخوض في ظلمات المداد . وهي لابسة حلة السواد . وترحل عن مراحل الامل الكاتبين . الى مداين اعين الناظرين . ومتى انتهت من سيرها في المسالك . واطلعت على تلك الممالك . عطفت عنان التوجه من عوالم الظهور والانجلاء بنية العود الى مكمن الكمون والاستخفاء . حتى اذا نزلت في محروسات اذان السامعين . ودخلت في مانوسات مشاعر الناظرين . نزعت ملابسها الهيولائية . وسكنت في مواضعها القلبية . ورجعت بعد تلك المسالك . الى ماكانت عليهِ قبل ذلك . والذي سبب ميلها الى الرجوع بعد ان سلكت في ذلك الموضوع . مانظرتهُ حينما مرت في مسامع الناس . فمناها بالحيرة والوسواس . وقد نظرت من اهل العلم الفضلاء في الفاقة والكاس . ومن الاغنياء جهلاء في الكبر والصغر فاحدث مانظرتهُ لافكار اصحاب الغيرة . بامل ان ينقذوها من هذه الحيرة . فتصدى لها من بينهم راي ثاقب . قد وهبهُ ذكاء وعرفانًا صاحب المواهب . وبشرها بالراحة والامان . وجعلها في اقصى حدود الشكران . وطمنها بان سيعود جهلاء الاغنياء . انجالاً اذكياء وعلماء فيتهذبون ويتعلمون . ويقرأون ويفهمون ويسلكون سلوك انجباء الافاضل . ويقتدون بالعلماء الاماثل . ويغادرون ما كان عليهِ اباؤهم من الشح والحساسة . ويعتنون بفن الكتابة والدراسة . ويبذلون الاموال في تحصيل العلوم والفضائل . وينفون ما كان عند اباثهم من اقبح الخصائل . فاذا كانت شهرة اباثهم بالبخل مع كثرة الاموال المكنوزة . فيعود الابناء بالعلم والفضل حسن الشهرة المعزوزة . فكم من صاحب مال مات ولم يبقَ لهُ من ذاكر . وكم من صاحب علم تخلد ذكرهُ في بطون الدفاتر . ولقد قال ابن الوردي رحمهُ الله تعالى

وكذا الورد من الشوك وما
ينبت النرجس الا من بصل

وقد قال بعض الشعراء ايضًا من هذا القبيل

العلم انفس شيء انت ذاخرهُ
من يدرس العلم لم تدرس مفاخرهُ
اقبل على العلم واستقبل مقاصدهُ
فاول العلم اقبالٌ واخرهُ

فيا ايها الشهم اللبيب والفطن الحاذق الاريب ابشر

فان العلوم قد أنار نورها في هذه البلاد . وجاد المولى بظهورها بعد الخفاء بين العباد . ففي اشتداد امورها . وقوة جمهورها . قد وفق الله اقواماً تجرؤا في طلبها لشديد المرام . وقوضوا عن ديار الاحية الرحلة في تحصيلها الحمام . فصارت بالناس اكابر العلماء عاطرة . واشعة شموسها في سماء عتوفهم باهرة . فمن جد في طلبها ليحجر عادة الاب والعم . وغاص على فرائد لؤلؤها في ذلك اليم . فقد ربحت تجارته . وحمدت اشارته . وعظمت فائدته واكتسابه . وشرف بالاعتناء الى العلم انتسابه .

وهذا اخترعنا نطق به لسان الاختراع . ومادرت منه على السماع . فسأل الله العظيم ان يهدينا الى الصراط المستقيم . ويلهمنا الصواب فهو الكريم الوهاب . والبر التواب . هو حسبنا ونعم المآب

الحيوان

ان الله سبحانه وتعالى قد رفع الانسان بالعقل عن سائر الحيوان وخصصه بالنطق وجعله متسلطاً عليه وعلى موجودات الدنيا الباقية والمعدنية وغيرها على انه قد فرض علينا بالفروض الدينية والدنيوية الانسانية الطبيعية التسلط المرتب الذي يعود علينا بالنفع والفائدة حال كونه لا يلحق الضرر والاذى بذلك المخلوقات الخادمة التي طالما انتفع الانسان بها . فمن المفروض نفعها للانتفاع بها وحسن معاملتها للحصول على حسن خدمتها وجني ثمار منافعها الكثيرة فانها خاضعة لارادة الانسان فتحمل الاتعاب والمشقات بل الهلاك في سبيل القيام بتلك الخدمة . وكم من اناس قد جمعوا بها الثروة وتاجروا بها الكثيرة ونجوا من الهلاك وغنوا المدن وجمعوا الكنوز . فلا يجوز ان نعامل الحيوان النافع معاملة مضرة بوجه مضمحل . فمسئ ولا ان نوديها التاديب غير المرتب بالضرب العصبي على غير لزوم او بقساوة عظيمة ومن اعظم اسباب الاسف ما نراه من استخدام البعض الالات الحديدية لالحاق الالم بها وحملها على اجهاد نفسها في خدمتهِ اجهاداً يعود عليها بالضرر العظيم . فمعاملتها بالقساوة البربرية بنفرية اصحاب الانسانية وكذلك اذا حملناها اكثر من وسعها فمن يا ترى يريد في ان يلزم بحمل اثقال لا طاقة له على احتمالها بحيث يمشي مطرحاً على حافة الهلاك او محتملاً اضراراً مولمة جداً ودماؤهُ تسيل واعضاء جسدهِ تتهشم . واذا قيل انهُ ليس للحيوان نفس حالدة ولذلك ما من حرج على من يعامله بالقساوة والظلم نقول ان الذهاب اذا لحق بالانسان او بالحيوان لا يلحق بالنفس الخالدة فانهُ محصور بالجسد وحرمة تعذيب الاجساد ناتجة عن وقوع جسد متحقق الحس تحت الالم لا بد من ان يشعر بها . فالانسان واقع تحت تسلطه غيره كما ان الحيوان واقع تحت تسلطهِ فهل يريد ان يحمل عذابات المتسلطين عليهِ . فان اجاب بالسلب نقول وكذلك الحيوان لا يريد ان يحمل العذاب منهُ . وبناءً على ذلك قد ابتدانا بهذه الفقرات الابتدائية تحريضاً للنفوس على الامتناع عن معاملة الحيوانات بالقساوة اذ كانت كثيرة نافعة او صغيرة حتى انهُ من الواجب ان نمنع الاولاد عن معاملتها بالقساوة بالعب بها . ولا ريب في ان كل ذي حاسيات لطيفة مدنية يسعفنا في ان نحرض عامة الناس على ذلك فباسم الفروض الدينية والانسانية واجب الدينين يشتقون على محاولتهِ وهو حسبنا ونعم الوكيل

كاتبهُ

ابن شكور

حل لغز مناويل افندي فيليبيدس المدرج في الجزء ١٦ من الجنان مع لغز آخر

(من قلم اسكندر افندي حبيب الجاويش)

هو سيرابيس اسم المحقق قد اشتهرت في الاشوريين

وجدت سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٩١٦ قبل المسيح وهو لقب لكاترينا الثانية ملكة روسيا في الغرب فاول اسمها السين وهو في السماء وثانيه الميم وهو في الماء وثالثة الياه وهو في الياه ورابعة الراء وهو في الكرة والبحراء وخامسة الالف وهو في آس وسادسة الميم وهو في ماس وسابعة الياه وهو في كيس وثامنة الدين وهو في عس ومجموع الثمانية (سيرامس) فهمل حروف السين والميم والالف ومجموعها الياه وعاطل عاطلها الراء . وقد اقتصرنا عن وصف بعض تفريع هذا الاسم ونتائجه وذكر اشهر وقائع الملكة المذكورة ومن طالع الغز والاسم والتاريخ عرف تفصيل ذلك

هذا وارجو من ذوي الالباب ان يتكرموا بالافادة في ايضاح المعنى المراد في جواب الدور الاول من الند الفائح وهو هذا

يا مدّعي

في الحب هل عندك شهود
عندي به شهود ورد الخدود
صدري ورمان نهوده الذبود

وربما توهم البعض في وضوح المعنى الظاهر والمأمن دقق صاحب الفكر في جواب المدعي وعرف حقيقة قصده وانتهجت لبراعة المعنى لانها اذا اكتفيا بالجواب الواضح لنا في المقصود تماماً لان ورد خدود المدعي وصدره ورمان نهوده لا تشهد عليه باثبات حبه لغيره بل بالعكس . راجيًا من ذوي الذكاء افادة المعنى المقصود ولهم الفضل

الكرم والشهامة

من العادة التجارية عند اكثر الشرقيين ان يغتنموا سنوح فرص وقوع جيرانهم او ابناء مدنهم او قراهم في المصائب ليجنوا نفعًا من مصائبهم وهذه دناءة يمقتها صاحب الذوق السليم والقواعد الصحيحة البالغة عن مراعاة حقوق الانسانية والقصة الآتية تدلك للذين قد اصابوا بمطامع جيرانهم او ابناء مدنهم اي قراهم وللذين قواعدهم الصحيحة تحملهم على الابتعاد عن ذلك وعلى كره اعمال الذين دانهم الخروج عن الدائرة المقررة عند اصحاب كرامة الاخلاق والشهامة وهذه ترجمتها . من المعلوم ان اكثر اصحاب الارزاق يحبون ان يوسعوا دائرة ارزاقهم حتى ان بعضهم يتجاوز حدود الاعتدال في ذلك فيجيد عن سبيل الصواب ويسلك طرق المطامع والنفاق . وفي مطالعة ما فعلة الكرد بنال دابوباز عظيم فائدة .

وكان الوزير الاول في دولة الملك لويس الثاني عشر الفرنساوي ومن افضل ابناء زمانه وهو الزمان الواقع بين سنة ١٤٦٠ و ١٥١ الهلالد . وكان له قصر وارض في نورماندیا وكان ذلك المكان من الاماكن التي كان يتصرف فيها ازمنة التنزه غير انه كان يرغب جدًّا في ان يوسع الاراضي الاّ ان ارضهُ كانت محاطة بملك رجل اخر ولذلك لم يكن يقدر ان يوسع املاكه وكان يرغب جدًّا في ان يتمكن من ابتياع ملك ذلك الرجل ودفع ثمنًا عظيمًا غير انه لم يقدر بالرغوب لسمع الرجل عن البيع . وفي ذات يوم دخل ذلك الرجل عليهِ وطلب اليهِ ان يشتري الارض منه . فبهت الكردينال وقال ولوائح الحيرة والتعجب تلوح على وجهه اني راغب كل الرغبة في ان اشتري ملكك فان ذلك مناسب جدًّا لي . ولما رأى لوائح الكدر تلوح على وجه ذلك الرجل قال لهُ اني قد سررت بما سمعتهُ منك بقدر ما تعجبت منهُ فاني اعلم انك لا ترتضي بان تترك املاكك ولذلك طالما تمنعت عن بيعها . فقال ذلك الرجل متنهدًا ان هذا هو مرغوبي فان ملكي موروث من اجدادي وكنت قد صممت على ان لا اتركهُ الا بالموت غير ان

ابني مزمع ان يعقد زواجاً مناسباً له ولابد له من مهر مالي وليس عندي مال فصممت على ان اتخي سعادتي لهام سعادتي . فقال الكردينال له يا جاري العزيز الظاهر ان سعادتك متوقفة على دوام ملكك في يدك فابحث عن واسطة لتمكن ابنك من نوال مرغوبه بدون ان تبدل سعادتك بشقاء . فقال انني لا ارى سبيلاً للحصول على ذلك . فقال الكردينال الا تقدر ان ترهن الملك عند صديق وتستدين المبلغ اللازم بدون فائض وتدفعهُ قسماً بعد قسم فنبرهن مدة شيئاً من مصروفك وفي زمان ليس بطويل تتمكن من ايفاء الدين بدون ان تشعر بثقله . فقال الرجل متنهداً اه يا سيدي ان هذا الزمان ليس فيهِ من الاصدقاء من يرتضي بان يقوم باحسان كهذا الاحسان فقال الكردينال له الاوفق ان لا تنبئ الظان باصدقائك . ثم مد اليدهُ وقال له اخبرني منهم فانني ادفع لك المبلغ المطلوب بناء على الشروط التي قد ذكرتها . فلما سمع ذلك الرجل هذا الكلام ذرفت عيناهُ دموعاً اذ انهُ لم يقدر ان يارم بحق شكر محسن كذلك للحسن بالكلام . اما الكردينال وهو الوزير الاول فسر اكثر منهُ اذ تغلب على ارادتهِ ولم تفُ منهُ سنوح فرصة وقوع جاره بالضيق ليس لياخذ الارض التي طالما تاقى الحصول عليها المجلس لمن ولكن ليسعفهُ على الجمع بين سعادتهِ سعادة ولدهِ اجوافنلو على الارض التي وربها من اجدادهِ واعطاه المال الكافي لعقد زواج ابنهِ

جسارة بطرس الاكبر الروسي

لا يخفى ان الامبراطور بطرس الاكبر امبراطور روسيا هو مؤسس التمدن في بلادهِ الروسية وكان على جانب عظيم جداً من الشجاعة والشهامة والحذق وقد اظهر من التيقظ والجسارة ما لا مزيد عليهِ في ليلة كانت تد عقدت فيها مؤامرة المقصود منها اهلاكهُ فان قوماً من اهل الحسد والشر اتفقوا على ان يضرموا النار في موسكو العاصمة اذ كانوا يعلمون ان الامبراطور بطرس يسبق الجميع الى محل شبوب النار ليباشر اطفاءها فعند ذلك يتمكنون من قتلهِ في وسط الاضطراب والارتباك بدون ان يظهر امرهم ثم يبادرون الى قتل جميع الاجانب الذين كان قد اتى بهم الى بلادهِ ليدنوها اذ انهم هم كانوا علة حسدهم وبغضهم لذلك الامبراطور النافع . فعند انقراب الساعة المعينة للقيام بذلك العمل الهملك اجتمعوا جميعهم واخفوا في ان يبتدئوا عزائمهم ويجمعوا قلوبهم بشرب المسكرات . ولا يخفى ان اعمالاً كهذه الاعمال لا تخاوس الاكثار في الغالب فان الذين من المؤامرين باتوا سيئي قلق وخافوا فخرجوا من قاعة المؤامرة بعد ان وعدوا اصدقاءهم بالرجوع قبل الوقت المعين وسارا الى الامبراطور واقفيا السر واخبراهُ بكل التفاصيل . وقالا لهُ ان ابتدا الضرام الثاريكون نصف الليل . فقال لهما الامبراطور اذهبا الى رفاقكما بدون ان تظهرا شيئاً مما قد جرى . فخرجا وسارا اليهم . اما الامبراطور بطرس فامر حراسهُ بان يحيطوا عند منزل عند المؤامرة قبل نصف الليل بساعة . وبعد ذلك ببرهة قصيرة ظن بانهُ قد دنا الوقت المعين فسار وحدهُ تاصداً منزل اولئك الاشرار فدخلهُ بدون خوف ظاناً انهُ سيجد الجرميين المذكورين مقيدين ومرتجفين خوفاً . غير ان فروغ صبرهِ حملهُ على الحضور قبل الزمان الذي عينهُ لحراسهِ وذلك بالسبب فانهُ حضر قبل الوقت المعين بنصف ساعة . فبات وحدهُ بدون الحاجة بين اولئك الخائنين المجرمين المتفقدين الاسلحة الذاتية وجرى ذلك في ساعة حلفهم بين القيام بعملهم الشرير . فلما راى الامبراطور بطرس نفسهُ على تلك الحال تغير وذرف الدمع قد اسى

في خطر مبين بسبب غلطة غير ارادية لم يطرأ بتاً من تاريخ ودنا منهم مسلماً عليهم سلام الاصدقاء وقال لهم بعبارة وثيقة عزم انني كنت مارًا بالقرب من هذا المنزل فرأيته منورًا فعرفت انكم تقومون بالحظ والسرور فدخلته لاشاركم في تناول كاساً واشرب نخبكما جميعاً سروراً . وبعد ذلك بعبرة قصيرة رأى بعضهم يشيرون الى البعض الاخر وان احدهم دنا من رئيس المؤامرة وهمس في اذنه قائلاً يا اخي قد حل الزمان المعين . فقال له الرئيس مترددًا انه لم تحل الساعة المعينة بعد . اما الامبراطور فلم يفهم المقصود من ذلك وبقي نفس تلك الدقيقة سمع صوت وصول حراسه اليه فصرخ قائلاً انه لم يحل زماني بل قد حل زمانك بالتي وضربة يده على وجهه ضربة شديدة . وبقي تلك الدقيقة دخل الحراس فحل الخوف والرعبة في نفوس المتآمرين حتى انهم مكنوهم من ان يقيدوهم بدون ان تبدو منهم اقل ممانعة

العدل

من ادلة تفاقص الحكام والقضاة سماحهم للامور المتعلقة بهم بان تأثر في اعمالهم العمومية فان بعضنا زيدًا يجتهدون في ان يتمتعوا منه بسلطانهم السياسي او القضائي مع انه من واجباتهم ان يكونوا منزهين عن مثل ذلك والا فلا يكونون اهلاً للقيام بالمصالح العامة والقضاء الاتيين واجباتهم وهي ان ارسنيدس الحكيم اليوناني الذي توفي قبل الميلاد بار بعة وتسعين سنة كان من افضل ابناء زمانه واعظم واشدهم حبًا للانصاف فقاضى اليه انسان من اهالي اتينا . ففي اثناء المحاكمة اراد احدهما ان يميل بارسنيدس اليه ليحكم له فقال له ان خصمي قد طعن فيك طعناً شديدًا . فلما سمع الحكيم المذكور ذلك منه قاطعه في الكلام وقال له يا صديقي اقطع الان النظر عن اتهام خصمك بالتعدي عليّ بالطعن فيّ واحصر كلامك في ما ادعيت به علي ومن التعدي عليك . فاني قد جلست على بساط القضاء الان لاحكم بدعواك وليس بدعواي

ترجمة حضرة ساكن الجنان

محمد سعيد باشا العظيم الشان

(من قلم رفعتلو اسكندر افندي ابكاريوس)

هو الكوكب البازغ . وبحر الكرم الزاخر . وفخر الاوايل والاواخر . الوارث رتب المجد كابرًا عن كابر . والماضي برفيع نسبه لاعلى ذرى النجوم الزواهر . وفيه يقول الشاعر

تباهت مصر وانتضح الصعيدُ
بدولة من هو المولى السعيدُ
وتاج الذل من طرب ولكن
به حمدٌ له ما يجودُ
لقد سعدت به مصرٌ ونالت
بدولته السعيدة ما تريدُ
لكل الناس عيدٌ كل عامٍ
وفيها كل يومٍ منه عيدُ

تولى احكام الديار المصرية سنة الف وماتين وسبعين هجرية . فرفق بالرعايا . وعدل في القضايا . وجرد الهمة السامية . والعزيمة الماضية . في نجاح البلاد . وتزيين الولاد . وتكميل نجاحها . وقدم اواصلاحها واقفى في هذا الاصلاح والنظام . اثر ابائه الكرام . حتى صارت بهجتو المنيفة . وحسن مساعي حضرته الشريفة . مستنيرة الافاق . دائمة الاشراق . وكان جوادًا كريمًا . عاقلاً حازمًا حليمًا . وفي افعاله مدبرًا حكيمًا . ذا حزم وفراسة . ومعرفة باحوال السياسة . وفضلاً عن بصيرته في الامور السياسية . له بصيرة

عظيمة في علم العربية . واللغات الافرنجية . وهي الذي زين طريق المنشية . وجعلها من المتنزهات البهية . وانشا الشرفات والطريق الحديدية . من مصر الى الاسكندرية . ومن مساعي حضرته . وعنايات دولته . التي تستحق ان تكتب . بماء الذهب على صفائح الذهب . المشروع الجسيم . والقصد العظيم . وهو وصل البحر المالح بحر الفارم . الذي كان شرع فيه الملك يخوه من القراعة والملك دارا من الهجم . قبل وقد كان سد في تلك الاحقاب . ليوسر من الاسباب . والملكات الفرنساوية . الديار المصرية . سنة ١٧٩٨ مسجسة . تذاكر في سعي هذه النقصة . ذات المقاصد الخيرية . فلم يتم لهم ذلك المراد . لعدم مكنهم في البلاد . واذكان هذا الامر من اعظم الامور الهية . واعمها في المنافع والفوائد التجارية . استدعى حضرة هذا المشروع الحميد . والعمل الجليل المفيد . شركة الفرنساوية . وصار ارسال صاحب الدولة والحمية . والاوصاف السنية . البدس الدبير . والحاذق الخبير . موسيو دولسبس لمناظر الاعمال . على احسن حال . وتم منوال

وبالجملة فان جميع اعماله محمودة . ومآثره ظاهرة مشهورة . لا ينكرها انسان . ولا يقوم بحق شكرها لسان . ولا تحاج الى دليل ولا برهان . وكان مع هذه الاوصاف الحميدة في المناقب الجليلة الفريدة . في غاية الرفق واللطف . جامعا بين الناس والظرف . ممدوحا محمودا . جميل الخلق سعودا . سالكا سيرة الخلفاء الفاضلين . والملوك الراشدين العادلين . متمسكا بتقوى الله رب العالمين . يحب العلماء والشعراء . ويكرم الادباء والفضلاء . ويدعم بهباته الوافرة . وصلاته الجزيلة المتكاثرة . لا يحرم من قصده . واستغاث به واعتمده .

وكان قد شرف بيروت المحمية . سنة الف وثمانماية وتسع وخمسين مسيحية . فكان لحلوله فيها يوم من عظيم الشان . ابهى من الدروز والنجم بين البرجان وما يخفى النجب . انه كان حريصا ذهب . ينشر في طريق الذهب . فكانت الناس تردم عليه . وتلتقط من حوالية . وتجعب من عطائه . وفرط جوده وسخائه . وتدعوله بطول العمر . وتطلب في الثناء والشكر . وقد وصف فقال . من شاهد تلك الحال

يسير والذهب المنثور يتبعه
مثل السحاب ترش الارض بالبرد
فظلت الناس ان السحب قد فتحت
بقدرة الله دار الضرب في الجلد

وكان قد نزل خارج البلد . في بيت الخواجات نصارس وهم من التجار العدد

ولما عاد راجعا الى القاهرة . افاض المواهب والانعامات الوافرة . من نفائس التحف والذخائر . المرصعة على صفائح الذهب بانواع الجواهر . على اصحاب البيوت . الذين شرف منازلهم في بيروت . وكانوا قد قصدوه . ونالوا منه ما ارادوه . فضربت لجوده الامثال . وتعلقت به القلوب والامال . وما زال في ازدياد حال . واعلى بال . الى ان انتقل الى رحمة رب العالمين . سنة الف ومايتين وتسع وسبعين . وكانت مدة حكمه تقريبا من تسع سنين . وبقي ذكره مخلدا على صفحات الايام . مدى الدهور والاعوام . على انه لم يمت من بقي ذكره . ونشر في الكون بعد موته فخره . فكيف من ابقى ولدا كريما . وسيدا فاضلا عظيما . كحضرة الوزير المكرم . والمشير الموقر المفخم . من قد تقلد بالجود والكرم . وبكارم الاخلاق وعلو الهمم . حضرة طوسون باشا الخنرير . وابا اسال الله الكريم المنان . ان يديم دولته السعيدة على مدى الايام والازمان . ويحفظ حضرته والدته الجليلة . ذات المآثر الجميلة . والمكارم الجزيلة . تاج المخدرات الكرام .

وسلالة العظماء ذوي الاحتشام . السيدة الكريمة . فاطمة خانم الفخيمة . التي قد شاع في الافاق ذكرها . وارتفع فوق السماكين فخرها . كيف لا وهي فريدة العصر . والجوهرة الثمينة في بر مصر . مآثرها لا تعد . وفضائلها لا تحد . حوت المعارف وحازتها . واكرمت الفضلا واجازتها . ووافاها الشكر من كل قاصٍ ودانٍ شعر

كريمة الاصل لا تحصى مناقبها
فريدة العصر في جودٍ وفي كرمِ
زهت بطلعتها الايام وافتخرت
على النساء بحسن الخلق والشيمِ

وانه المسئول ان يديم لها شريف وجودها . ويخلد في سماء المجد شموس سعودها . ويزيدها عزًا وفخرًا . واجلالاً وقدرًا . على مدى الدهور والاعوام . ما اشرقت الشمس وناح الحمام . والدعا ختام

عجائب الطبيعة

(من قلم سليم افندي البستاني)

ان الجاهل يرى ما حوله بدون ان يعرف اقل جزء من الف جزء من حقيقة ما يرى ولاصحاب المعارف لذة مصدرها معرفة الحقائق وفي اعظم لذة وترك الحكم فيها للاختبار اولى من اطالة الشرح في هذا الباب حال كون المقصود هو غير ذلك . ولا يخفى انا في جملة كثيرة ذكرنا انواع النباتات والحيوانات وغيرها على اننا لم نخصص جملة لتوضيح ما يدهش العقول ويحيرها ويجعل الانسان على ان يرى انهُ كالعدم بالنسبة الى تلك القوة الالهية الملازمة للحكمة التي قد خلقت في عالمنا الصغير بالنسبة الى سائر العوالم التي يقصر الانسان عن ادراك احوالها . فان سار في الارض يرى من الحيوانات والاختلافات الطبيعية ما يكاد يكون بلا نهاية وفي ذات الوان وهيئات مختلفة فيرى الجبال المغطاة بالثلوج والسهول الواسعة القفرة والمخصبة والبحور المنفرجة والجمعة والمرتفعات المخيفة والاودية الكبيرة العميقة والحفر والانهار والشلالات والينابيع والبحيرات والابحر والرووس والخلجان والمغاير والف شيء يختلف بعضها عن البعض الاخر . فهذه في عجائب القدر مجتمعة فاذا تامل الانسان في نسبة بعضها الى البعض الاخر ومنافعها بهبت . وما من شيء اغرب من كثرة انواع عالم النباتات فانها تنمو في المناطق المختلفة وفي اكثر اليابسة والارض المغطاة بالماء . وقد جمع العلماء من انواع النبات في عرض النبات في بارز ما يبين ان اهل العالم قد اكتشفوا على اكثر من ٥٦ الف الف نوع منهُ . وربما كانت هذه النباتات جزءًا صغيرًا من النباتات الموجودة بالفعل وان مئات الوف منها ستبقى موضوعًا لاكتشافات اهل القرون الاتية . فان علماء النبات لم يتفوا بعد على اقل جزء من متعلقات فهم فان اكبر النباتات تنمو في محلات لم يتيسر للباحثين في علماء النبات ان يخصوها كما فحصوا اراضي اوربا داخلية افريقية وامركا واوستراليا وسومطره وجاوا وسيلون واپان وسيبريا والصين وبرمانيا ومحلات اخرى كثيرة لا يزال نباتها غير حاصل على الفحص التام . ومن المؤكد انهُ كلما بحث في بلاد يكتشف فيها على نبات جديد . حتى ان بعض الطبيعيين قد قالوا انهُ في كل تلثة اميال مربعة من الارض نبات يختلف عن نباتات سائر الاماكن او اذا لم يكن الاختلاف تامًا يكون نموهُ في ذلك المكان مختلفًا عن نموهِ في الاماكن الاخرى . وهذا كافٍ ليبين ان انواع النبات لا تحصر في ملايين قليلة . ومن المدهش ان كل نبات من هذه النباتات يختلف عن سائر النباتات في جمعهِ وتركيبهِ وهيئتهِ وزهرهِ وورقهِ وثمرهِ وغيرهِ ولونهِ وخصوصياتهِ

الدوائية وكيفية غذائهم واعينهم وراتحتهم . وفي مخلفة الاجسام فاصغرها لا يرى الا بالنظارات المكبرة جداً واكبرها كازرلبنان او شجر السندبان حتى شجرة بابا التي يقدر ان يستظل في ظلها براحة سبعة الاف نفس . ولها الوان مختلفة ولا ترى الاختلاف في هيئة بعضها الا بواسطة النظارة المكبرة . ومنها ما ينمو الى فوق ومنها ما يمتد على الارض . وبعضها يعيش في الاراضي الكثيرة المياه وبعضها في الاراضي الناشفة . ومنها ما يميل الى جهة الشمس وبعضها تذبل عندما تلمس . ولا تنحصر اختلاف هيئاتها باختلاف انواعها فان الاختلاف في الهيئة يكون بين النباتات التي هي من نوع واحد فترى كل وردة تختلف عن الوردة الاخرى بجمالها حتى انك لا تجد زهرة كالاخرى في كل شيء اذ انه لا بد من اختلاف ظاهر لعين المجردة او غير ظاهر الا بواسطة النظارات المكبرة . حتى انه قد قيل ليس باثنان من الملايين الكثيرة من النبات على هيئة واحدة في كل شيء . وربما كان الانسان لا يقدر ان يرى ورقة واحدة من اوراق الاشجار كورقة ثانية في كل شيء ونحص الاوراق بالالتفات من جهة لونها وتركيبها وكمية مادتها وعروقها وغير ذلك يظهر الفرق . فهذه في اعمال قدرة الله سبحانه وتعالى المتهيدة بتلك الحكمة غير المتناهية . وقد جعل كل نبات في المكان الموافق له من جهة المياه والحرارة والبرودة وجعل لكل منها وعية لبعض المياه والرطوبة اللذين يتغذى بهما . وما ان الحيوان يتغذى بالنبات اما باكلوه او باكلوه بعد تحويله الى حيوان بواسطة حيوان اخرقد جعل الله للحيوانات ما يوافقها من النبات فما يوافق الشاة منها مثلاً لا يوافق كلة الفرس وهلم جراً وهذا برهان وجود المناسبة بين المواد التي يتركب الجسم الحيواني منها والمواد التي يتركب منها النبات الذي يغذيه

ومما من شيء اعجب من النبات الا عالم الحيوان فان علماء الطبيعة قد اكتشفوا على اكثر من خمسين الف نوع من الحيوانات خلا الوف كثيرة لا يراها الانسان الا بواسطة النظارات المكبرة وفي تعيش في ما لا يرى من الهواء والماء ولا بد من ان تكون الوف كثيرة منها في الهواء والماء وفي البلدان التي لم تفحص بعد حال كونها لا تزال بدون اكتشاف . وكل جنس من هذه الاجناس الكثيرة يختلف بعضه عن البعض الاخر في اللون والحجم والهيئة وتركيب الجسد الداخلي وعدد الات الحس واعضاء الحسد والارجل والمخالب والمخالب والاجنحة والجلد والقوات والحركة وكيفية المعاش وغير ذلك . وفي من اجسام مختلفة فمنها ما هو هوام لا يرى الا بالنظارة المكبرة ومنها الفيل الضخم والحوت العظيم وكذلك منها تلك الحلوقات الصغيرة جداً التي اذا اجتمع مائة الف منها لا تكون كتلة اكبر حجماً من الرمل . وفي اما تطير في الهواء واما تعيش في الماء واما تصير على اليابسة .

ومنها ما يمشي على رجلين او اربع ارجل ومنها على عشرين رجلاً او مائة رجل . ولبعضها عينان وللبعض الاخر ٨ اعين او مائة عين وللبعض ثمانية الاف كرة شفافة وكل منها عين . فاعين بعض الذباب ودود الحرير من اعجب مخلوقات الله سبحانه وتعالى . ففي راس الذبابة مكانان صغيران مرتفعان قابلان عن سائر الراس وكل منها في جانب من الراس . وهما اللذان يصرها فسطح كل منها مقعلي بنصف كرات صغيرة جداً جداً وفي موضوعة بنظام غريب صفوفاً صفوفاً . وفي كل من هذه الاجسام الصغيرة جداً النصف الكروية عدسية شفافة صغيرة جداً ولها عصب يصر مستقل حتى ان كل عدسية في عبارة عن عين . وقد عد مستر لوونهوك ٦٢٤٦ عيناً منها في عيني دودة

حرير وثمانية الاف منها في عيني ذبابة اعتيادية و٢٧ الف عدسية في عيني ذبابة من نوع اخر بحيث ينطبع في عينيها ٢٧ الف صورة عند نظرها الى الاشياء. وقد وضع ذلك المسترذبابة منها قبالة قبة كنيسة علوها ٢٩٩ قدمًا وبعدها عن عيني تلك الذبابة ٧٥٠ قدمًا فراى في كل عين من ٢٧ الف عين صورة تلك القبة بواسطة نظارته المكبرة وقدره اقدر راس ابرة دقيقة جدًا. فهذه عين فيها الوف من العيون وهي تدل على اقتدار الخالق وحكمته. ومن الامور المدهشة تركيب داخل اجساد الحيوانات وخارجها فان لها الوفًا من الحركات والاعمال التي لا بد منها لقيام الحيوة والمحافظة عليها. ولكل منها جسد فيه الات تامة من العظام والخلايا والعضلات والعروق والاعصاب وهي تختلف في كل نوع عن النوع الاخر. هذا ولا نقدر ان نذكر غير بعض الامور المتعلقة بذلك من جرى ضيق المقام اذ ان لكل عضو من كل تلك المخلوقات الكثيرة خصائص ووظائف واعمالاً وحركات كثيرة جدًا

ولو قدر الانسان ان يتحدر الى بطن الكرة الارضية ويرى تلك المواد الكثيرة الموجودة في ظلماتها المجهولة لتحير وراى من غرائب العجائب مالا يقدر القلم ان يقوم بحق وصفه. غير ان اجتهادات الانسان كلها واختراعاته لم تمكنه من ان يتحدر تحت سطح الارض غير مسافة نسبتها الى الارض كلها نسبة الواحد الى الستة الاف جزء. ولذلك قد تقرر عندنا انه ربما كنا نبقى الى الابد جاهلين المغاير الواسعة جدًا والمواد العظيمة التي ربما كانت موجودة في قلب الارض. ومن المعلوم ان الانسان قد راى مواد كثيرة في المكان الذي تمكن من الهبوط اليه تحت سطح الارض ولئن كان غير عميق بالنسبة الى حجمها كلها فان طبقاتها مختلفة وكثيرة فترى التراب والرمل وحجر الكلس والفحم والملح والبوطاس والذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والجبس وحجارة كريمة واشياء كثيرة اخرى. ومن هذه المواد ما هو لازم جدًا للهيئة الاجتماعية فلا غنى للانسان عنها وبدونها يخسر اسباب راحته ويفقد صناعته ويرجع الى حالة الخشونة ويخسر وسائط امتداد معارفه والات انتقاله برًا وبحرًا. ولم تنحصر عجائب الله سبحانه وتعالى في بطن الارض فانه اذا نظر الانسان الى ما تراه عيوننا نرى من عظمة المخلوقات ما يدهشنا ويحيرنا. فاننا نرى احيانًا الغيوم تغطي الجلد وتحجب عنا الاجرام الفلكية وكثيرًا ما تغير الوان الفضاء بتغيير مراكز الشمس. وما اللمع منظر قوس قزح والنور الشمالي المعروف عند الافرنج بالاورورا بولارس وقد راياه باعيننا. وكم من مرة ترى الشهب تتساقط بكثرة كانها الوف من السهام النارية التي يقام بها القتال في الفضاء. وما اشد تاثير وميض البرق ودمدمة الرعود واصوات الصواعق في الانسان الذي قد بات على سطح هذه الارض قابضًا على زمام الحاضر فقط لجهله الاستقبال وخروج الماضي من يده فيرى السماء ظلمة مدلهمة لا تنار الا بوميض البرق ويراها طورًا مزينة بالكواكب التي لا تحصى وبالقمر الذي يسير بمجده. وبالجملة نقول اننا اذا بحثنا في عالم النبات او عالم الحيوان او في الفضاء او بطن الارض نرى ما يدهش من الجمال والنظام واختلاف الهيئات والتراكيب وغيرها. فاذا كان كل جرم فلكي جامعًا من المخلوقات المختلفة قدر عالمنا اي عقل يقدر ان يحدها والمظنون انها كلها جامعة ذلك. وقد اقتصرنا على هذا القدر هذه المرة وسنشرح جملاً اخرى بهذا الشان في ما ياتي ان شاء الله فانه ما من شيء يصبو الانسان اليه اكثر من الوقوف على حقيقة عالمه وغرائبه

تاريخ فرنسا

قد عرفت تفصيلاً حياتهُ بطولها سروراً اذ كانوا يعلمون ان ذلك يضعف شوكة الجمهورية فانهم كانوا يخافونها . حتى ان مستر اديتكتون وزير انكلترا الاول قال لسفير فرنسا ان حكومة انكلترا قد سرت سرور صديقة عندما بلغها خبر تعيين بونابرت قنصلاً حياتهُ بطولها اذ ان من شان ذلك تثبيت السلطان والراحة في فرنسا . وبادر ملك بروسيا وامبراطور روسيا والارشيدوق شارل النمساوي الى ان يبعثوا بمراسلي صداقة . حتى ان نفس كاترين ملكة بابوليتين المتكبرة امر امبراطور النمسا صادف وجودها في فينا عند ورود ذلك الخبر فقالت لسفير فرنسا اظهارًا لسرورها ان الجنرال بونابرت من اعظم رجال الدنيا . وما الحقها في من الضرر العظيم لا يمنعني عن ان اعترف بمجدهِ وتعقلهِ . فانهُ قد نفع كل اوربا بقطع الاضطرابات والثورات من فرنسا . وقد قبض على زمام ادارة بلادهِ لانهُ اكثر الناس استحقاقًا لذلك . وفي كل يوم ايمن للفتيان من امراء العائلة الامبراطورية وجوب الاقتداء بهِ واحرضهم على ان يعقلوا عن احوالهِ واعمالهِ ليتعلموا كيف ينبغي ان يسوسوا الامم ويجعلوا نير السلطان خفيفًا على اهل التعقل والمجد . انتهى

وفي ذات يوم قال بونابرت انهُ اذا كنا نرغب في ان تكون معاهدات الصلح المعقودة بيننا وبين الدول المجاورة لنا ثابتة من اللازم ان نجعل تلك الدول نظام حكوماتها كنظام حكومتنا او ان نجعل نظامنا اقرب الى نظامها . فانهُ لا بد من وجود روح عدوان بين الملكيات القديمة وجمهورية جديدة وهذا عواصل الحلاف الاوربي . انتهى . وكان المخاطب الدوق دو كالينا وقد قال بهذا الدان ان ما قالهُ القنصل الاول اشد الاقوال تبيينًا للغايات التي كان يجب ان يجعلها موضوعًا لطلبهِ (اي ترجيح المملكة) وللاسباب التي كانت تحملهُ على ذلك . فانهُ كان قد تقرر في عقلهِ ان ذلك انما هو الواسطة الوحيدة لتقرير سلامٍ دائمٍ . انتهى . غير ان اسباب الحلاف بين انكلترا وفرنسا كانت تتكاثر يومًا فيومًا . وكان الانكليز في كثرٍ لا مزيد عليهِ اذ ان بضائعهم لم تصادف الرواج الذي كانوا يؤملون بانها ستصادفهُ ومن المعلوم ان المصنوعات الحديدية والقطنية كانت اهم المصنوعات الانكليزية . اما بونابرت فكان معتقدًا كل الاعتقاد بتربية اسباب مصنوعات فرنسا فقط تلك التجارة بالهمام ما كاد يمنع كل المنع دخول تلك المصنوعات الى فرنسا . اما اوليم بت وهو وزير انكلترا الاول السابق وحزبهُ فكانوا لا يزالون اصحاب سطوة نافذة وكانوا ينظرون الى اسراع بونابرت الى الوصول الى السلطان بحسد وغيرة ولذلك كانوا ينشرون في الجرائد جملاً المقصود منها ان يقرر في عقول القوم ان فرنسا ذات مطامع كثيرة . ولا يخفى ان اكثر الملكيين الذين هاجروا بلادهم لابتاعهم عن الخضوع الى الحكومة التي كانت قد خلعت الملكية كانوا ساكنين في لوندرا وكانوا لا يزالون مخربين للبوربون . وكانوا قد تحدوا مع انكلترا في الحرب الطويلة التي كانت قد انتشبت بينها وبين فرنسا . ولذلك لم تقدر الحكومة الانكليزية ان تمنع عن ان تشاركهم في الشعور بعصابتهم ومن واجباتها ان تشاركهم في ذلك فيما لم يخرق كرامة الاخلاق ولذلك كان كثيرون منهم يقبضون معاشات من خزينة انكلترا . هذا حال كونهم كانوا يعتمدون مؤامرات دائمة لقتل بونابرت حتى انهم كانوا يراسلون من كان يحاول قتلهُ . وفي ذات يوم غضب بونابرت من جرى تعقيبهم وقال التي سايرت لاولئك

البوربون انني لست من الرجال الذين يمكن اطلاق الرصاص عليهم كما يطلق على كلب . وتشكى اشد شكوى من وجود الذين كانوا يحاولون قتله عند الانكليز وهم يتمتعون بمعاشات منهم . فان تدقيقات الضابطة الفرنساوية كانت تبين في كل يوم اجراآت متعلقة بمحاولة اولئك المهاجرين قتل بونابرت . وكان في انكلترا رجل اسمه بالتيه وهو من كتاب الجرائد الفرنساويين البوربون فنشر في كل اوربا بكتاباته اكاذيب لا تحتمل لئلم صيت بونابرت واسرائه واولادها واخوته واخواته وكان ينسب اليهم ادنى الاثام والذنوب فانتشرت تلك الاخبار في انكلترا واميركا واثرت تاثيرًا شديدًا في الامم فانها صدقتها . وكان كثيرون يسرون بنشر تلك الاكاذيب قيامًا بصالحهم فانهم كانوا يحبون ان يظلموا صيت بونابرت ويمهدوا السبل لفتح حرب جديدة . فتشكى بونابرت الى انكلترا من جرى ذلك فاجابت انكلترا ان الجرائد حرة عندها وانه اذا اراد ان يقيم الدعوى على الجرائد التي تطعن فيه لا سبيل الى ذلك الا بواسطة اقامة الدعوى في المجالس الانكليزية وانه من العظمة بمكان ان تعامل كتابات مهينة بعدم الالتفات . غير ان بونابرت كان يرى ان تلك الاكاذيب كانت تؤثر في الامم وتمهد طريق حروب تجري الدماء بها كالطوفان في اوربا وان الوسائط التي تاتي بتلك النتائج لا تعامل بالاحتقار وعدم المبالاة

اما عرب الجزائر فكانوا متسلطين على قسم عظيم من البحر المتوسط بمراكبهم القرصانية وكانوا يتعدون على مراكب جميع الدول النصرانية وكان قد انكسر مركب فرنساوي عند شاطي الجزائر فاسرهُ الاهالي وكان العرب قد اسروا مركبين فرنساويين تجاريين ومركبًا نابوليًا وساروا بها الى الجزائر . فلما سمع بونابرت بهذه الامور غضب جدًا فارسل تحريرًا الى صاحب الجزائر وقال له اذا لم تطلق سبيل الاسرى وترجع المراكب المغتنمة بالحال وتتعهد باحترام راية فرنسا وايطاليا ارسل بوارج وجنودًا لينزلوا بك الويل والخراب . وكان صاحب الجزائر قد سمع باعمال بونابرت في مصر فخاف منه جدًا وارجع الاسرى والمراكب والتمس المعاملة بالحلم وانفذ عدلة غير المرتب وامر بقتل الذين كانوا قد اسروا المراكب تنفيذًا لاوامره . غير ان سفير فرنسا شفع فيهم وخلصهم من القتل . وعند ذلك اقام بونابرت بجميل ما من جميل اشد منه دلالة على حب تقرير الصداقة وهو متعلق بحضرة البابا اذ انه لم يكن قادرًا ان يحمي شواطي مملكته من تعديات اولئك القرصان الكثيرين . فانتخب بونابرت بارجتين جميلتين من البوارج الموجودة في تولون وسلحهما باحسن سلاح وملاها بالزاد والمهمات وسماها القديس بطرس والقديس بولس واهداها الى حضرة البابا حتى انه بعث بسفينة لترجع بالملاحين الفرنساويين الذين ياخذونها الى ميناء رومية لئلا يلتزم حضرة البابا ان يرجعهم بما له . فسر حضرة البابا سرورًا لا مزيد عليه واصر على اخذ الملاحين الفرنساويين الذين اتوهُ بها الى رومية فاكرمهم بكل نوع ممكن واراهم كنيسة القديس بطرس ومتعهم بالتفرج باعظم الاحتفالات الدينية المدهشة ورجعوا الى فرنسا ومعهم من الهدايا ما يصعب وصفهُ والمنتهم قاصرة عن اداء الشكر للعناية التي صادفوها

هذا ومن المعلوم انهُ كان قد قرر في معاهدة اميان انهُ من الواجب ان تخرج فرنسا وانكلترا من مصر وانهُ تسلم انكلترا مالطة الى حكامها الاصليين . فان مالطة كانت ذات حصون لا تقهر وهي مركز للتسلط على البحر المتوسط ولفتح مصر . وكان بونابرت يقبل بان يتركها بشرط ان يتركها الانكليز . واهم شروط المعاهدة المذكورة تسليم مالطة الى دولة محايدة

فتقررت تلك المعاهدة فبادر بونابرت الى القيام بعهوده . غير انه جرت موانع على غير رضى انكلترا واخرت خروج جنودها من مالطة . وبقيت انكلترا سنة في مالطة بعد تقرير تلك المعاهدة وكانت قد زالت كل الموانع ومع ذلك كانت جنود انكلترا لا تزال في مصر وفي مالطة . واخذ مجلس انكلترا العالي وجرائدها في ان تبحث في هل من الواجب ان تقوم انكلترا بتعهداتها حال كون فرنسا اخذة في ان تجمع قوة تخاف من عواقبها . اما فوكس من رؤساء احزاب مجلس انكلترا العالي فقال بعدالة لا مزيد عليها انني منتجب اذا سمع كما اسمع ولا سيما عند تذكر الذين يسمعون ما اسمع . ومن الحق انني مكدر اكثر من اصدقاء مستر بتسبورغ قائلو الخيرين عند ما ارى عظمة فرنسا التي قد اخذت في ان تمد قوتها كل يوم في اوربا وانكلترا . ومن المعلوم ان فرنسا هي التي قد شرعنا في ان نثني عليها بهمة المماحلة في اعمال الاخرين حال كوننا نحن حملنا عليها للزامها بقبول حكومة لا ترتضي بان تخضع لها ونقبل العائلة البوربونية حال كونها قد رفعت يدها عن عنقها . على انها قد تمكنت من دفع الحاملين عليها بحركة عظيمة وسيعرض الذارع الامم على الاقتداء بها ويحفظ لها ذلك ذكرا دائما . ومع اننا نحب مصلحة انكلترا حبا لا مزيد عليه فد شعرنا بانها تترك غير اختياري بالحاسيات مع تلك الثورة العظيمة الدالة على حب الحرية ولا تحاول كتم ذلك . ولا ريب في ان فرنسا عظيمة وهي على اعظم ما يحب الانكليزي المحب لوطنه ان يراها عليه غير ان ذلك لا يسوغ لنا التعدي على معاهدات معقودة بالاستناد الى الامانة . فان تعدينا على معاهدة عقدناها لانا رأينا فرنسا في حالة تزيد في العظمة عن الحالة التي كنا نظن انها عليها وامتناعنا عن تسليم مالطة مثلا يجلب عارا على انكلترا لانه خيانة عهد ديني . ومن الموكد عندي انه لو كان في باريز مجلس كالمجلس المجتمعين نحن فيه الآن لمفاوضات لتكلم بخصوص سلطان انكلترا الفائق في البحار كما نتكلم نحن الآن عن جيوش فرنسا وتسلطها على اليابسة . انتهى

ومن الموكد ان بونابرت كان راغبا كل الرغبة في تقرير السلام فانه كان قد شرع في القيام باعمال منسعة عظيمة ليحسن البلاد وينفعها . وكان الوف من الفعلة يشتغلون في انشاء طريق فوق جبال الالب . وكان ينتظر بفروغ صبر نهاية التخصيمات وحفر الترع فانه كان قد فاز بالحصول على سلطان مطلق وكل قومه ينتظرون الى اعمالهم بدهشة وتعجب هذا وهو يتمتع بالمجد الذي يحصل عليه من يجدد زمان الحروب في اوربا بعد ان اضرمت سنين كثيرة . وكان قد اطلق سبيل جيوشه المجتمعة وحول مداخيل البلاد الى ترويج الصناعة ولذلك اقرغ كل جهده في سبيل المحافظة على السلام ومجانبة الوقوع في ويلات الحروب واضرارها . وقابل اللورد هوشورث سفير انكلترا في فرنسا باكرام لا مزيد عليه وكانت امرأته الدوقة اوف دورست تصادف احتراما عظيما وعناية لا مزيد عليها وكان يقيم لهما ولائم كثيرة ومآدب فاخرة في قيرسان كلو . وكان الشقيقان الاخران يعتنيان بهما كل الاعتناء ومع ذلك لم يتمكن بونابرت من ان يتم صلات ودادية بينه وبين حكومة انكلترا فانها كانت لا تزال مستولية على مالطة مع انه كان قد تقرر في المعاهدة انه من الواجب ان تخرج منها . ولم يكن بونابرت يقدر ان يتركها في يدها لانها مركز ذو اهمية عظيمة . وفي نهاية المخابرات طلبت انكلترا بجسارة خروج الفرنساويين من هولندا وتسليم مالطة تسليما نهائيا للدولة الانكليزية فغضب بونابرت عندما سمع هذا الطلب وقال انه

مضت ايام البوربادور (وهي امراة كانت محبوبة الملك لويس الخامس عشر وكانت تجري مغايرات كثيرة بقبول كلمتها عند الملك) وايام دوباري (وهي امراة اخرى مقصودة الاخلاق احبها ذلك الملك بعد الاولى). فان الفرنساويين يحبون تقرير السلام من كل قلوبهم غير انهُ لا بد من ان يكون موافقاً لناموس الرجال الكرام. انتهى. وعزم بونابرت على ان يجتمع بنفسهِ بسفير انكلترا المذكور ليوضح لهُ نواياهُ وافكارهُ بدون تكلف ولا تصنع. ففي مساء اليوم الثامن عشر من شهر شباط سنة ١٨٠٢ للميلاد اجتمع بونابرت بذلك السفير في قصر الثويلري وكان في وسط المخدع الذي اجتمعا فيهِ مائدة كبيرة للكتابة فطلب بونابرت الى السفير ان يجلس عند طرف منها وجلس هوعند الطرف الاخر وقال لهُ اني قد رغبت في ان اخاطبك بنفسي لانفعك بحقيقة ارامي ومقاصدي. انتهى. ثم اخذ بونابرت يفتش عما كان جرى بينهُ وبين انكلترا منذ البداية الى النهاية بفصاحة لا مزيد عليها وبكلام موثر جداً وقال لهُ انهُ عرض الصلح عندما صار فصلاً ولكنهُ لم يُقبَل ثم جدد المحاربات بهذا الشان برغبة شديدة عندما سكنت الفرصة من ذلك والمسلم بالامور كثيرة كان من مصلحتهِ ان لا يسلم بها للحصول على صلح امين. الى ان قال غير ان اجتهاداتي المصروفة في سبيل سلامة انكلترا لم تقابل بمثلها فان الجرائد الانكليزية تنشر العدوان وجرائد المهاجرين الفرنساويين يسمح لها بان تطعن في طعناً لا يسلم بهِ نظام انكلترا وقد عينت حكومتكم معاشات لجورجي واعوانهِ الذين يحاربون قتلي. والمهاجرون ينالون حماية في انكلترا ولذلك يانون الى فرنسا بطلبينة ويحركون الحروب الاهلية والامراء البوربون يقبلون باحترام يليق بالملوك وقد ارسل دوك دانغين وبيرارد وطاليرانديوقعوا فرنسا في الصعوبات حتى انهُ لا تهب ريح من انكلترا الا وفيها اهانة ونغض. والان قد وصلنا الى مركز لا بد لنا من ان نخلص المتسامنة فهل ترغبون باجراء معاهدة امين او لا ترغبون بذلك. اما انا فقد اجريتها بامانة ثامة وهي التي قد الزمتني باخراج الجنود الفرنساوية من ناپولي وتارنتو والاملاك البابلوية في المدة اشهر. وفي اقل من شهرين خرجوا منها كلها. مع انهُ قد مضى عشرة اشهر منذ تقرير المعاهدة ولا تزال الجنود الانكليزية في الاسكندرية وفي مالطة ولا فائدة من محاولة خدمتي بهذا الشان. فهل ترغبون في الحرب او في السلام. فاذا كنتم ترغبون في الحرب فقولوا فاننا نقوم باثارتها بدون ابطاء واذا كنتم راغبين في السلام فمن الواجب ان تخرجوا جنودكم من مالطة ومن الاسكندرية. اما صخرة مالطة التي اقمتم عليها حصون كثيرة فهي من جهة المراكز البحرية ذات اهمية عظيمة غير ان عندي لها اهمية اعظم فان ناموس فرنسا متوقف على اخراج جنودكم منها. فاذا باثرتي يقول اهل العالم اذا رأونا نسمح بالتعدي على معاهدة راهنة الابرتانون في اقتدارنا وجدتنا. ولذلك قد صممت على ان لا اتنك عن التصميم عليهِ فاني افضل ان اراكم مالكين قم وغار ترا من بالرتز اعلى ان ارى مالطة في يدكم. واذا كنتم تشكون في انني راغب في المحافظة على السلام رغبة قلبية اسمعوا واحكموا فاني ولئن كنت لا ازال صغير السن قد حصلت على سلطان وشهرة يصعب على الانسان ان يزيد سلطاناً وشهرة عليها. فهل تظنون انني اميل الى خسارة ذلك السلطان والشهرة في حرب ذات خطر. فان حارت الدما اعرف السبيل المودية الى عاصمتها فيها وان حاربتكم سا خسركم كل حلفائكم في اواسط اوربا فنبادرون الى حصري بحرًا فاحصركم انا بعد ذلك

ستاتي بقيتهُ

الهيام في فتوح الشام

(من قلم سليم افندي البستاني تابع الاجزاء السابقة)

غائصاً في بحر من المصائب وهذا شان كل امراة عاقلة اما المراة الجاهلة فتاخذ في التظاهر بما يكدر زوجها ظانة انها يشفى عليها ويعمل على مجانبة كل ما يزيد كدرها مع ان الرجل العاقل يعلم الزمان الذي يحل فيه الكدر الصحيح في قلب امراتهِ ولذلك الاوفق للنساء ان يبتعدن عن كل ما يكدر الرجال ويفرغ صبرهم من تصرفاتهن وتشكياتهن وغير ذلك فان اقبال الاشغال واكدارها تكفيهم . وبعد ان ساروا مسافة تزيد عن النصف ساعة الى الجهة الشرقية والفرسان يسيرون الى الجهة الغربية ظانين ان الاسرى يطلبون الشام ويجتهدون الابتعاد عنها خوفاً من الاعداء طالت المسافة الواقعة بين القومين واصلان جولبان ورفيقاهُ على انفسهم وقالوا الاوفق ان نسير الى الجهة الشرقية ربع ساعة وبعد ذلك نجلس بين انجار ملتفة الى ان نرى ان الفرسان قد رجعوا فنسير واخذوا يسيرون تارة في الساحل وطوراً في الطرق الى ان وصلوا الى مكان فيهِ انجار كثيرة ملتفة . وكان الاهالي قد هجروا اماكنهم ودخلوا المدينة خوفاً من العرب المهاجمين ولذلك لم يصادفوا احداً من اولاد بلادهم ليامنهم بما كل ومشرب وافراس . اما الفرسان فلما راوا انهُ قد طال زمان تفتيشهم بدون ان يفوزوا بالمرغوب رجعوا الى المعسكر وقرروا على الامر الى خالد بن الوليد القائد العام فاغتاظ جداً وقاصَّ الحراس لانهم اهملوا واجباتهم . وجرى ذلك كلهُ بعد المعركة التي جعلت العرب يتمكنون من حصر الشام . ففي نصف الليل اتى معسكر العرب القائد الخائن الذي كان قد اشار بحبس اوعمطا بالملك الاقتران بها وهو الذي انكسر بفرقتهِ امام جيش العرب في ظاهر الشام عندما اسرت سلمى . فاخبرهُ خالد بفوز الجواسيس الذين كان قد اخبرهُ عنهم بالهرب وكذلك القضاء القصا الخرسا التي كان قد راها واشار بحبسها . فتذكر حينئذٍ ذلك القائد الروماني الخائن من خلاص اوعمطا وقص على خالد بن الوليد حقيقة خبرها وقال لهُ انها ليست بخرساء وانها بنت وزير من اعظم الوزراء واخبرهُ عن خاطبها جولبان وعن حبو هولها الى غير ذلك مما حمل خالداً على ان يشدد التفاص على اولئك الحراس

وبعد ان جلس جولبان ورفيقاهُ وهما اوعمطا ورفيقة العربي المتصدر عند تلك الانجار الملتفة نحو ساعتين راياهُ انهُ اذا لم يسرعا الى محاولة الوصول الى مكان لا يزال في يد الرومان يعرضون انفسهم لخطر عظيم . وبناء على ذلك نهضوا واخذوا في المسير بسرعة قاصدين الوصول الى القرى الواقعة في الجهة الغربية من الشام لانهم كادوا يتيقنون بان العرب لم يكونوا قد تمكنوا من فتحها لان حصرهم الشام كان لا يزال غير مضبوط وكان الرومان في القرى الواقعة في الجهة الغربية من الشام يعلنون امالهم بفوز الشام على العرب لافتقارهم الى الالات اللازمة للقيام بالحصر ولذلك ثبت كثيرون منهم في قراهم . فسار جولبان ورفيقاهُ في الظلام على بركات الله الى الجهة الجنوبية من المكان الذي كانوا فيهِ وصلوا اليهِ قاصدين ان يسيروا نحو ساعة او اكثر ثم يعرجوا

الى الجهة الشرقية فيصيحون في الجهة الجنوبية من الشام فيجيبون الى الجهة الغربية . وكانت اوغسطا قد شعرت بالتعب فجرباها لم تنه بكلمة تشكي ان تذمر ولكنها كانت تسير منتظاهرة بعدم الشعور بالتعب تلا تكدر محبها بتعبها وتشغل اله علاوة على انشغاله بما طرحت نفسها وظرحته هو ورفيقه فيو .

وبعد ان سار وامدة ليست بقصيرة طلع الظهر فاراد ان يسرع بالمسير غير ان جوليان قال لرفيقو اظن ان التعب قد فعل في اوغسطا وهي لا تشكي فاجلس هنا لنستريح ربع ساعة ثم نسير فجلسوا وسرت اوغسطا بذلك بدون ان تبين لجوليان بانها سرت بالراحة غير انها صممت على ان تظهر له الحقيقة كلها بعد ان تصل الى مكان لا خطر فيو وترى ان التعب لم يانها بسوء العواقب . وبعد ما جلسوا نحو نصف ساعة نهضوا وبعد ذلك شعرت اوغسطا بشدة التعب على انها سارت وراث ان الراحة قد نفعتها نفعاً عظيماً . وعند ما تكاملا نور الصباح راوا انهم بعيدون عن الشام مسافة ليست بقصيرة وانهم كادوا يقطعون الجهة الجنوبية منها فرحوا جداً وعلى الخصوص لما راوا انهم قطعوا كل تلك المسافة وصرفوا ليلاً طويلاً بالمسير بدون ان يصادفوا قوماً من قاطني الطرق ومن اهل التعدي . فافترايهم من الغاية نشطهم جميعاً وعلى الخصوص اوغسطا فانها رات ان خطاها حملها وحمل محبها ورفيقها الا كثيراً غير انها لم يطرحها في هلاك او في اسر دائم او في عبودية . وقال رفيق جوليان الاوفق ان نجد بالمسير خوفاً من مصادفة قوم من العرب في هذه الاماكن اذ انهم يخرجون بطلب الزاد والمواشي والاثار وغير ذلك نجد واياي المسير . ومن الامور الغريبة انهم لم يصادفوا احداً البتة . وكانت اوغسطا تود ان تحصل على حصان او بغل او حمار لتركبة غير ان حظها كان قليلاً فالتزمت ان تسير برعة بعد ان ارتفعت الشمس واشتدت حرارتها . غير انها نسيت همها وتعبها عندما وصلت الى قرية من القرى المذكورة قبل الظهر باكثر من ساعة فدخلوا بيتاً وغسلوا وجوههم وايديهم وارجلهم واكلوا وناموا بعد ان عرفوا ان حصر الشام كان لا يزال جارياً وان الاهالي الرومان كانوا ينتظرون ورود نجدة لنجاهم العرب في ظاهر المدينة ويهاجموا جنود الشام واهاليها من داخلها ثم يخرجون من الابواب فيبيت العرب في الوسط فيتزلون بهم ويلاً وهلاكاً . ومع ان جوليان كان قد اختبر حروبهم ورای نجاحهم وخذلهم وصبرهم على الشدائد وعدم مبالاتهم بالكثرة قال لاوغسطا ان التيمار بذلك الهجوم يتكفل بطردنا ولتلك القوم من بلادنا فانا لم يكن يخطر له ببال ان العرب سيبادرون الى الحمل على النجدة الرومانية قبل ان تصل الى ظاهر الشام وتجملهم بين جيشين عظيمين احدهما مستند الى مدينة ذات اسوار وحصون . فسر جوليان ورفيقاهُ بهذا الخبر وناموا مرتاحي البال حتى انهم كانوا يؤملون بان يهوضهم من الرقاد يكون بعد وصول النجدة الرومانية الى ظاهر الشام وانشغاب الحروب . ولما استيقظوا بصوت وقع حوافر الخيل في الارض وتجميع الرجال قالوا لا ريب في وصول جنودنا الى هنا . واستيقظت اوغسطا قبلهُ فنهضت وفتحت الباب .

فاجفل جوليان واي اجفال عندما سمع صراخها وغلبها للباب بسرعة . فقال لها باضطراب ما لكِ يا اوغسطا ونهض وانفكّ واخذ في الاقتراب من الباب فقالت له لقد دنا هلاكنا . فقال لها هل انكسر قومنا فقالت لا ادري فاني فتحت الباب منتظرة ان ارى الجيوش الرومانية فرايت الجيوش العربية . وقبل ان اتمت الحديث اخذت في البكاء الشديد لان هذه المصيبة هي نتيجة غلطها وكانت متاكدة بان وقوعهم في

ايدي العرب بكون حلول اجل محبها وحشاشة نفسها وهلاك رفيقه واسرعها في . ولم تكن تبالي بالضيقات التي كانت تترصد الوقوع فيها قدر ريث ما انتهيا بالكهف من فراق محبها وانفصالها عنه الى الابد . فقال لها جولبان تشددي فان الخوف يعمي البصيرة والبصر والاوفق ان لا نحاول الهرب فان الاقامة في هذا البيت اولى لعل القوم سائرون الى مكان اخر وعدم مصادفتهم ايانا في هذه القرية يحملهم على ان يسيروا بدون ان يكثروا لعلها بنا فان مباشرتهم استجلاب الاهالي بالملاطفة والارتضاء بالجزية وبعد ذلك يحافظون على الامنية والراحة ويفضون بالعدل والانصاف . ولم يرتح بالها كل الراحة بكلام جولبان اذ انها كانت تظن ان بعضهم راها عندما فتحت الباب غير ان مضي الزمان بدون حضور طارق ارتاح بالها بعض الراحة . اما مرور العرب من هناك فكان نهيس البلاد ولم يكن الذين اجتازتهم تلك القرية اكثر من مائة رجل وكان كلما طال زمان اقامتهم في القرية بدون ان يعلموا ذلك البيت يرتاح بال اوعطما وصبرها ورفيقه حتى انهم كادوا يعتادون اذا ان صوت وقع الحوافر كان قد انقطع ولولا سهيل بعضها لما عرفوا بوجود العرب في القرية . ومن ما ترى يقدر ان يصف قلق اوعطما وخوفها واضطرابها عندما قرع باب البيت الذي كانت فيه فلم تجب بشيء ولم يجب جولبان ولا رفيقه . على ان اوعطما حارت في امرها وكانت تخاف ان يملوها الزمان فتقد محبها فطرحت نفسها بعد اقدامها وهي تقول والدمع يذرف غزيرا من عينيها اطلب الموت معك لان بنحي لا تطيق البعاد لانك اصبح للقهر بان يفرقنا وبعد ذلك قرع الباب ثانية . فقالت لمحبها لا سبيل الى النجاة فلنمت سوية فيجمعنا الموت كما جمعنا الحب . ثم قرع الباب فقال لها جولبان افتحي الباب امت لانهم لا يتعدون على النساء فقالت له واحسرتاه ويا حبراه كيف افتح سبل هلاك محبي وحياتي بيدي بعد ان فتحتهما مرة واحدة انني لا اسلم بهلاكه ولا اخضع لحكم الزمان ما دام ظالما . فقال لها جولبان انك تتكلمين حال كونك غائبة عن الصواب فارجعي الى نفسك ولما رأى الثائرون الى ما من مجيب كسروا الباب بدفعه بعضهم ودخلوا البيت . فلما رات اوعطما قوما من العرب داخلين اغمي عليها فان عينيها الملطختين لم تقدرا ان تبقيا مفتوحتين في ظروف كتلك الظروف كما ان قلبها الصادق الصافي لم يطق ان يسمع المهينين ان تبلغا ثائرتها اليوم جرى ما كان يترصد وقوعه فاطبق جفونها وذهب بتلك الغذاء الجميلة النطيفة العاطفة الى عالم الغيبوبة فجرى ما جرى بعد دخول العرب الى ذلك البيت مما لا نعرف ان نعرفه ولا نعلم ماذا كان يطرا عليها ثم لم نتب عن الصواب . والغرام الصحيح المستوفي الشروط من الامور النادرة في العالم ولذلك لا تدرك حقيقة مفاعيله وتاثيراته في قلوب المحبين وعلى الخصوص عند حلول مصائب من شانها ابدال هناء العيش والسعادة المحالة والمنتظرة بامر العناء او بالفراق الدائم او بوفاة احد المتحابين

هذا ومن سوء الحظ اتفق وقوع اوعطما وعلى في الويل والضيق سيء وقت واحد مع ان الانسان يجب ان يطالع اخبار توفيقات اهل الغرام ان كانوا من اهل زماننا او من اهل زمان سالف . وكانت على في اسوء حال في محبها في حلب ولولا شدة تعبها يوم وصولها لما قدرت ان تنام غير ان الحزن مع التعب مكنا النعاس من ان يتغلب عليها فالقاها في فراش الذل وكل قوتها في مبادين الفر والانتصار ونامت بدون ان تعلم حلماً واحداً . على ان تمكنها من الراحة التامة بالنوم بعد ذلك التعب لم يكن غير واسطة

لتقوية جسدها للقيام باجابة دواعي القلب بتسليم نفسها الى حزنها الشديد وكدرها العظيم . ولما نهضت في الصباح وتيقنت بانها في السجن بعد ان استيقظت حق اليقظة كادت تبلى بداء الجنون اذ ان الفكر الاول الذي خال لها هو هل تمنعني حيطان هذا البيت من ان اجتمع بحبي وحياتي وفؤادي وامليِ ومشجي بالداهية وبا المصيبة . وبعد ذلك عاصت برهة في بحار من الهواجس ولم ترجع الى نفسها حتى فاضت دموعها انهرًا تناسب بنابيعها في الغزارة والصفاء وكان تعلق بعضها في اهداب اجفانها السوداء الطويلة برهان صعوبة مغادرتها ذلك الينبوع الجميل والعين اللامعة وكانت تلك الكرات المنجذب بعضها الى البعض الاخر بناموس الطبيعة تتساقط بدون ان تبالا لا المورد تجتمع صفاتها لان الويل السابق والهموم المتلفة بدلته بصفاء بياض هو اجمل من الورد ما دام مرافقًا للوانح الانكسار والانخفاض الجانب واللطف . ولولا انشغال يديها اللتين بالفرك الناتج عن اشتداد المصائب والحزن لبان من بلورها تحت اللؤلؤ ومن عنابيها مع ذلك الدر . وبعد ان فازت ارض سجنها بوقوع قدميها اللطيفتين مرتين بقطعهِ من جهة الى جهة وقفت في وسطهِ ورفعت يديها الى جهة السماء وقالت بصوت يخجل تغريد الطيور ولا سيما بعد ان كان حزن الفراق قد ضرب وتربه يا الهي الا ترسل اليَّ بالفرج ما هذا الذل بعد ذلك العز وهذا التعب بعد تلك الراحة كيف تسلب مني حشاشة نفسي واليت بعيدة عنهُ في سجن قوم لا سبيل الى النجاة منهم والحاصل ان سلى باتت في اسوإ حال في ثاني يوم وصولها . وبينما هي على تلك الحال فتح باب السجن ودخل السجان بالماء والطعام . فقالت الارفق ان اكل لاقوي نفسي على المصائب بحيث اني قادرة على ان احافظ على حب ذلك الذي قد ثلك قلبي وهو بعيد عني فاكلت وعند ذلك دخل ذلك القائد الذي قد قلنا في اواخر الفصل الماضي انهُ كان يجب ان يتمتع بالنظر اليها وهذه هي المرة الاولى التي دخل بها اليها ولما راها ادهشهُ بياض بها وجمالها ولطفها اذ انهُ كان يظن ان كل النساء العربيات كالبدويات بشدة السمرة والخشونة فقال في نفسهِ سجان الحالتي وكان يدخل سجنها كل يوم كما سبق الكلام الى ان تبسمت لهُ وخرج بدون ان يتبسم فاشتد الخطب عليها لما رات منهُ ذلك الصد وبعد امل النجاة ورجعت الى ان تنهى الموت بعد ان كانت تطلب ابتعاد الاجل بامل وجود سبيل للاجتماع بالحب . فالسجن مكروه عند النفوس بدون ان يكون علة فراق عاشقين فكيف لا تكرههُ سلى وهي فتاة لشعر بثقل الدرهم قدر شعور الرجال بثقل الدرهمين بل اكثر . ولا ريب في ان الم السجن المجرد عن الوسائط المريحة للبال حينًا بعد حين وعن كل سلوان هو مضعف للجسم وبالتالي للقوى فانهُ كان يهزل جسم سلى في كل يوم ومن المستغرب ان انهزال جسدها لم يحسرها ثيابَين حملها لان لوائح اللطف والدعة كانت تزداد فيها . وانقطاع حبال املها اطالت حبال اصطبارها وغزارة دموع ضيقها كانت توسع مجاري فرج كربتها حتى انها باجباء بعض الليالي كانت تجلب النوم بالبعض الاخر فكانت تداوي الضد بضدهِ وتحمل اثقال ما لم يكن يحتمل

ولم يكن حزن سا لم تحب سلى وكدرهُ وقلقهُ من جرى اسرها اقل من حزنها هي وكدرها وقلقها فان تعلقهُ بهواها وغرامها لم يكن اضعف من تعلقها بهواهُ وغرامهِ وهذا هو الذي حملهُ على ان يتمنع عن الذهاب مع الجيش الذي كان ذاهبًا ليحارب جيش الرومان الذي كان مجتمعًا تحت قيادة وردان في اجنادين . واصر على ان يتخلف عنهُ ليحاول الدخول

الى الشام للبحث عن خبرها مع انه كان يعلم ان دون ذلك اهوالاً كثيرة غير ان الغرام يعمي الانسان عن الاخطار ويحمله على طرح نفسه في اشد المصائب ولم يكن سالم يسأل عن حياته ويبالي بحفظها قدر نصف مبالاته بوجود محبوبته وسؤاله عنها وهذا هو تأثير الغرام الشديد

وبعد ان سارت الفرسان قال ابن الوليد القائد العام لابي عبيدة قد رأيت رأياً ان اكون انا على الساقة مع الغنائم والاموال والبنين وكن انت على المقدمة مع خاصة اصحاب رسول الله . فقال ابو عبيدة بل اكون انا على الساقة اي الموخرة وانت على المقدمة مع الجيش فان وصل اليك جيش الروميان مع وردان يجدوك على اهبة استعدادهم عن الوصول الى النساء والاولاد فلا يصلون الينا الا وانت قتلت فيهم والا كنت انا ومن معي غنيمة لهم اذا كنت انا في المقدمة . وهذا الراي مبني على اساس معرفة الانسان قدر نفسه وقدر غيره وهذا من فضائل العرب في مدتهم الاولى لان ابا عبيدة مع انه سلف خالد كان يقر بانه اشجع منه واعرف بالحروب وما اعظم الفرق بين شانهم في ذلك العصر وشاننا في هذه الايام فان كلاً منا يظن نفسه افضل مناظريه واعرفهم وافضلهم فلا يسلم الواحد بان غيرهُ اعرف منهُ بما يمارسهُ اكثر منهُ فترى الذين لم يتقلدوا المناصب يتخيلونها مع الانتقاد على اعمال غيرهم فيحاولونها ويحبطون فيها خبط عشواء فلا يصيرون كسلفائهم الا بعد زمان طويل . اما خالد فهو صاحب الامر والنهي ومع ذلك قال لابي عبيدة لست اخالفك فيما ذكرت . فما اجمل اجتماع العظمة والسلطان مع اللين والانقياد وبين فعل خالد من افعال بعض المأمورين الصغار عندنا الذين يستخون بالرجوع عن رايهم ولو كان خطأ وهذا عناد والعناد عار اذا اصر صاحبه على التمسك بالخطأ والفضل في اقرار العاقل بخطائهِ والرجوع عنهُ عندما يبدو لهُ . وبعد ذلك قال خالد ايها الناس انكم سائرون الى جيش عظيم فان يظفركم الله وهو كم الضر . ثم قرأ عليهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . ثم ركب خالد في الجيش وسار في الطليعة وبقي ابو عبيدة في الف من العرب ونظر الى ذلك اهل دمشق وهم يتحيرون ويسرورون ولذلك عطفوا على موخرة جيش العرب التي كانت تحت قيادة ابي عبيدة واقبلوا بعسكرهم اذ انهم كانوا يظنون انهُ لما بلغ خبر ركوب الجيوش المجتمعة في اجنادين خافوا ونهضوا من مراكزهم في ظاهر دمشق واعتزموا . فقال لهم اهل التعقل ان ساروا في طريق يعلمك يكونون قاصدين فتحصنوا وقفح حمص وان سارو في طريق سرج لا تعلم يكونون هاربين الى الحجاز لا محالة تاركين ما قد اخذوهُ من البلاد . وخرج الرومان من دمشق في اثر العرب في ستة الاف فارس وعشرة الاف رجل . وكان خالد بن الوليد القائد العام في المقدمة وابو عبيدة في الموخرة مع الغنائم والاموال والجمال والغنائم والاولاد . وبينما هم يسيرون راى ابو عبيدة رجلاً من قومهِ يتامل غباراً منتشرة وراءهم فسالهُ ابو عبيدة عن ذلك فقال اظنها غبار مسير جيش الرومان . فقال لهُ صدقت انهم قد طمعوا فينا ولذلك قصدونا .

وبعد ذلك ببرهة قصيرة دنت فرسان الرومان من موخرة جيش العرب وكان في مقدمتهم قائد اسمهُ بولس فلما راى ابا عبيدة قصدهُ ومعهُ الفرسان . اما اخوهُ بطرس فقصد نساء العرب والغنائم والمال وافتطع قطعة ورجع بها الى جهة دمشق غير انهُ لم يدخل بها بالحال الى داخل الاسوار بل جلس بها في مكان متوسط بين مكان الحرب والمدينة وجلس هناك بنظر ما يكون من امر اخيهِ . وكان سالم جالساً بالقرب

من المكان الذي جلس بطرس فيه بعد ان سبى بعض نساء العرب واغتنم بعض غنائمهم فانه كان قد احتبأ هناك بعد ان غير بعض ملابسه وليس ما يدل على انه من العرب المنتصرة وصمم ان يقيم هناك الى ان يتيسر له الدخول الى الشام وكان يعلم ان دون ذلك مخاطر كثيرة وعلى الخصوص لانه اذا ظهر شيء يدل على انه ليس من العرب المنتصرة يختفي امرهُ بالخذلان ومع ذلك اعياهُ الشوق والحزن عن الخاطر . ولما رأى النساء والغنيمة بيد الرومان شق الامر عليهِ غير انه لم يكن قادراً على اجراء شيء فصمم على ان يتذرع بواسطة مصائب قومهِ ويدخل مع العجيمة وعند الدخول يدبر الوسائط اللازمة لاخفاء امرهِ وان لم يتجرد ذلك بفضل الموت اذ ان اجتماع جيوش جرارة من الرومان في اجنادين مع تفريق جيش العرب كان قد اضعف امله من الفوز بالانتصار ولذلك قال في نفسهِ اذا دخلت الشام افوز باحد امرين وهما اما المعيشة بالاسر في المدينة التي تكون فيها حبيبتي واما الفوز بخليصها والهرب بها الى بلادي بعد رجوع العرب عن بلاد الرومان مكتفين بما اغتنموهُ من الغنائم . اما ابو عبيدة فانهُ لما نظر الى ما فاجأهُ من الرومان قال لقد كان الصواب مع خالد لما قال وعني في السافة فلم ادعهُ . واشد الحضار على ابي عبيدة حتى الموقع بعض الارتباك في رجالهِ الالف فان الرومان كانوا اكثر منهم وكانوا قد تبددوا اذ راوهم راجعين عن حصر قيسارية وزاد الارتباك رعي الاولاد والاولاد النساء وضايق الرومان الالف من العرب الذين كانوا في المؤخرة تحت قيادة ابي عبيدة وحمل بولس قائد اسا عبيدة واشتدت الحرب وابي اشداد وكان سهيل بن صباح مع جنود ابي عبيدة فلما رأى ان العرب يأتون في ضيق شديد وان الرومان قد اغتنموا قسماً من غنيمتهم وسبوا نساء من نسائهم اطلق العنان لجواده حتى وصل الى خالد بن الوليد في المقدمة فلما اقبل عليهِ صرخ قائلاً يا ايها الامير الحق بابي عبيدة والنساء فان نفر دمشق قد لحقوا بهم وانقطعوا قطعة من النساء والاولاد وقد بلي ابو عبيدة بالاطافة لهُ عليهِ . فلما سمع خالد ذلك قال انا لله وانا اليهِ راجعون قد قلت لابي عبيدة دعني اكون على الساقة فما طاوعني ليقضي الله امراً كان مفعولاً . ثم امر رافع بن عمير على الف من الفرسان وقال لهُ كن في المقدمة وامر عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق على الفين وقال لهُ ادرك العدو وسار هو في اثره ببقية الجيش هذا وقد قلنا ان بطرس الروماني كان قد اسر نساء وغنم غنائم ونزل بهن في مكان ينتظر نتيجة القتال الذي كان جارياً وبعد ذلك عرض على نفوس النساء الماسورات فلم يجبهُ منهن غير خولة بنت الازور اخت ضرار وهي الفتاة التي فتكت بالرومان وفعلت فعال صناديد الرجال عندما بلغها خبر اسر اخيها وكانت جامعة بين الجمال والقوة والشجاعة والفروسية فقال بطرس هذه لي وانا لها لا يعارضني فيها احد . فقال لهُ المحبابة هي لك وانت لها . فقال لهم نعم وكل من سبق الى واحدة هي لهُ فتعللوا الى ان قسموا الاسرى ثم وقفوا ينتظرون ماذا يكون من امر الجيش الذي كان يحارب العرب . اما سالم فكان لا يزال مختبئاً في مكان قريب من المكان الذي انزلت النساء الماسورات فيهِ وكان يخاف من ان يفوز الرومان بالفتك بقومهِ ولذلك صمم على كل حال ان يدخل الشام عند ادخال النساء الماسورات وقال في نفسهِ ان هذا ربما كان لا يمكن الا بعد ان يخيم الظلام فيستتر بي عن اعين القوم وامكن من ان اوصي النساء بالبلاغ خبر سلمى اذا وقفنا عليهِ وان يخبرنهما بانني داخل المدينة احاول تخليصهما . وكان من النساء الماسورات عجائز من قبيلة حمير ومن قبيلة تنوخ من

نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوض المنايا والهجوم على القبائل . فاجتمع بعض النساء على البعض الاخر فقالت لهن خولة بنت الازور يا بنات حمير بقية تبع اترضين لانفسكن علوج الرومان ويكون اولادكن عبيدًا لهم فاين شجاعتكن واين براعتكن التي تحدث بها عنكن في احياء العرب ومحاضر الحضر ولا اراكن الا بعزل عن ذلك وعندي ان القتل اهون من هذه المصائب الى غير ذلك من الكلام الهيج للحمية وللطعن الشديد في الرومان . فلما انتهت خولة من خطابها اجابتها عفرة بنت غفار الحميرية قائلة صدقت يا بنت الازور فاننا كما ذكرت في الشجاعة والبراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام وقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير ان السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت وانما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن الا كالغنم . فلما انتهت عفرة من خطابها قالت خولة بنت الازور يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا اعمدة الخيام واوتاد الاطناب وتحمل بها على هولاء اللئام لعل الله ينصرنا عليهم او نستريح من معيرة العرب . فقالت لها عفرة وكانت من النساء الشديدات العزم ما دعوت الا ما هو احب الينا مما ذكرت . ثم ان اولئك النساء تناولن اعمدة من عمد الخيام وصحن صيحة واحدة والتفت خولة على عاتقها عمود الخيمة وسارت وراءها عفرة المذكورة وام ابان وسلمى ولبنا بنت حازم وغيرهن من النساء الباسلات الشديدات العزم والعارفات بالقتال . فقالت لهن خولة لا ينثنك بعضكن عن البعض الاخر وكن كالحمامة الدائرة ولا تتفرقن فيقع بكن الشتيت واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهن . وكانت خولة المشهورة ذات النعال العجيبة والبسالة المعروفة في متقدمتهن فهجمت امام الجميع وابتدأت بضرب رجل من الرومان على هامتهِ بالعمود فتجندل مصروعًا . فلما سمع الرومان الضجيج وراوا الحركة وهم الذين كانوا مع بطرس يحرسون الاسيرات والغنيمة التفتوا ليقفوا على حقيقة الخبر . فلما راوا النسوة مقبلات على تلك الحال تحيروا واندهشوا اذ لم يكن يخطر لهم ببال انهن يجاسرن على مثل ذلك حال كونهن غير متقلدات الاسلحة . فصاح القائد بهن قائلاً يا ويلكن ما هذا فقالت عفرة هذا فعالنا فلنضربن القوم بهذه الاعمدة ولا بد من قطع اعماركم وانصرام آجالكم . فلما راى بطرس عملهن قال لقومه تفرقوا عن النسوة ولا تبذلوا فيهن السيوف ولا ينبغي ان يقتل احدكم واحدة منهن بل خذوهن اسيرات . فتفرق الجنود الرومان واحتدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول اليهن فلم يجدوا الى ذلك سبيلاً . وكن يضربن كل من دنا منهن من جنود الرومان بضرب قوائم فرسهِ فاذا تنكس عن جوادهِ بادرت النساء بالاعمدة اليهِ فيقتلنهُ ويأخذن سلاحهُ . هذا وقد قيل في الكتب العربية ان هولاء النساء تمكن من قتل ثلثين رجلاً من الرومان وما زال بطرس صابرًا عنهن غير انهُ لما راى انهن قد اكثرن من القتل غضب غضبًا شديدًا وترجل وترجلت اصحابهُ وساروا نحو النساء والنساء يحرض بعضهن البعض الاخر على قتلهِ وهن يقلن منا كريمات ولا نمكن لئيمات وكانت خولة بنت الازور تجول كالاسد في حومة القتال وهي تقول

نحن بناتُ تبعٍ وحميرْ وضربنا فيكم ليس ينكرْ
لاننا في الحرب نارٌ تسعرْ اليوم تسقون العذابَ الاكبرْ

فلما سمع بطرس كلامها ورأى من حسنها وجمالها ما راى وهي تجول وتحرض القوم غير مبالية بموت ولا بعذاب تعجب واشتد ميلهُ اليها فقال لها يا عربية انصرفي عن فعالك فاني مكرمك بكلما يسرك اما سباقي بقيتها

ملح

حكيم وفتى

صادف ذات يوم رجلٌ حكيمٌ فتى من معارفهِ مرافقاً لفتى آخر من اهل الفساد فلما رأى ان الحكيم قد رآهُ مع ذلك الشاب المفسود الاخلاق احمر وجههُ خجلاً. فقال الحكيم له تشجع يا ابني فاني قد سررت بما نظرت فيك من لوائح النجاح على انني اشير عليك بان ترافق الذين لا يجمرون الوجوه في ظروف كهذه الظروف

الحكمة والدناءة

قيل للحكيم اليوناني الحي منيديم الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ان السعادة العظمى تتمثل في نوال المارب فقال ان الدناءة بالمملك يد الانسان سعادة اعظم من تلك

الطبيب والرجال

ان الامبراطور تيبياسيان الروماني الذي ملك في القرن الاول بعد الميلاد رقى احد رجال دولتهِ فقبل له يا مولاي شكراً والاطباب الزكية تتضوع منهُ فشمها الامبراطور فاغتاظ وقال هل يا ترى يقدر الرجل ان يتطيب هذا التطيب انهُ اوفق لك ان تتطيب بالثوم والمقصود ان ما يصح بهِ للنساء من ذلك لا يليق بالرجال

الشهامة

انهُ لما اشتد الحر والعطش على اسكندر ذي القرنين وجيشهِ الجرار في القفار حتى قاربوا الهلاك ارسل بعض جنود للتفتيش على الماء فوجدوا قليلاً منهُ في قلب صخر فحملوهُ الى الاسكندر في اناء فاراهُ لجيشهِ ليصبرهم على العطش بامل قرب الوصول الى الماء وكان يكاد يهلك ظمأ ومع ذلك كب الماء على مرأى من الجيش فمن من الجنود يابى بعد ذلك ان يتذمر من العطش والتعب ويتردد عن ان يتبع قائداً كالاسكندر الى الهلاك

الخصمان

ان مستر هوارد كان من الاكليريكيين المشهورين بحب الاحسان الى المحتاجين ورفع الضيق عن المتضايقين وتزوج بامراة تميل الى ذلك كميلهِ اليهِ وبعد عن كل ما هو من المجد الباطل. وبقي ذات يوم يفحص حساباتهِ فراى انهُ قد ربح مبلغاً ليس بقليل فقال لامراتهِ انني احب ان نصرف هذا المبلغ بالذهاب الى لوندرا وصرف زمان في التنزه والانشراح. فقالت امراتهُ اما نقدر ان نبني منزلاً مريحاً جداً لعائلة من العمال التي باتت بالفريدون منزل المال الذي قد خصصتهُ لتنزهي وهذا افضل من التنزه في المدينة مع زوجها جداً بذلك وانفذ مرغوبهُ ووجدا بعد ان تمموا عملها ان لذة الاحسان الى الفقراء لرفع ضيقاتهم اعظم من لذة صرف المال بالحظ بالتنعمات

كرامة الاخلاق

ان الارشيدوق شارل كان القائد العام للجيش النمساوي الذي كان يحارب فرنسا سنة ١٨٠٠ للميلاد وكان القائد العام للجيش الفرنساوي الجنرال مورو ففي ذات يوم صادف الارشيدوق المذكور جمهوراً من الجنود النمساوية المجروحة متروكة في الطريق لان قائدها كان قد وجد الاسبيل الى نقلها لاحتياج المركبات الى الافراس فلما راى الارشيدوق المجروحين على تلك الحال امر بان تنقل افراس المدافع لجر مركبات الجرحى وقال ان جيوش رجل نجاح خير من خمسين مدفعاً. فتمكن الفرنساويون من اغتنام تلك المدافع على انهُ لما عرف الجنرال مورو السبب الذي حمل الارشيدوق على ترك المدافع لم يحفظها غنيمة بل ردها الى النمساويين وقال انهُ لا يرتضي بان ينتفع بجميل العدو وخسارة سبق اليها بفعل دعوة اليو دواعي الانسانية